القضيـــــة الفلسطينية

على مفترق طريقيـن

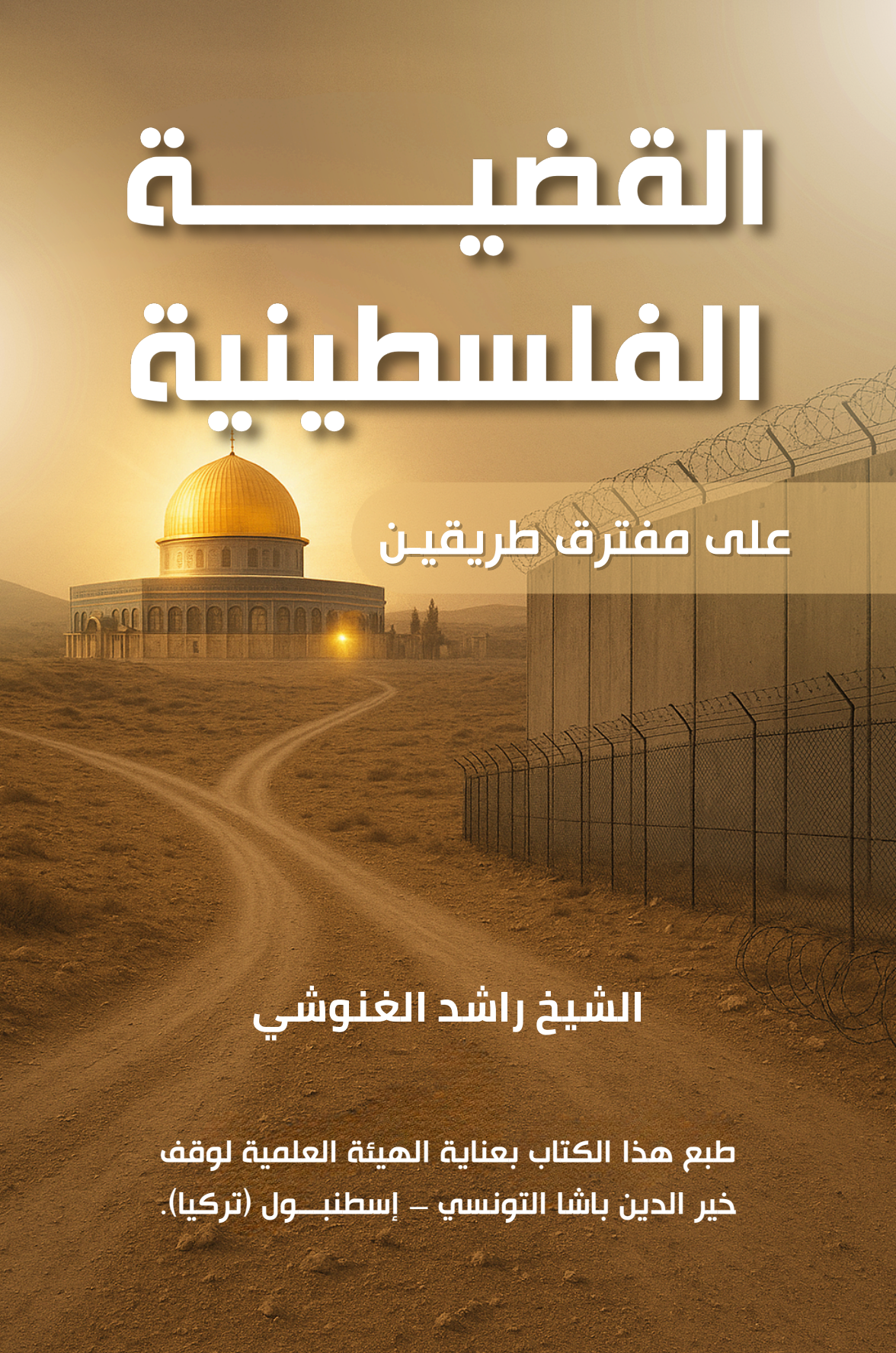

الشيخ راشد الغنوشي

طبع هذا الكتاب بعناية الهيئة العلمية لوقف
خير الدين باشا التونسي – إسطنبـــول (تركيا).

القضيـــــــية الفلســـــــطينية
علـــــى مفتـــــرق طـــــريقين
دروس مـــــن الثـــــورة الفلســـــطينية

القضية الفلسطينية على مفترق طريقين

دروس من الثورة الفلسطينية

الشيخ راشد الغنوشي

(الأستاذ معاذ الصابر)

طبع بعناية الهيئة العلمية لوقف خيرالدين باشا التونسي

إسطنبول تركيا

تاسك للنشر والطباعة والتوزيع

+213 784 02 93 44 contact@tas-q.com https://tas-q.com

حقوق النشر © TASQ2025

جميع الحقوق محفوظة

ردمك(ISBN)	978-1-300-07196-9
عنوان الكتاب	القضية الفلسطينية على مفترق طريقين
	دروس من الثورة الفلسطينية
المؤلف	الشيخ راشد الغنوشي
الطبعة	الأولى
سنة النشر	2025
مكان النشر	الولايات المتحدة الأمريكية

الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي المؤلف وحده، ولا تعكس بالضرورة رأي الناشر. لا يتحمل الناشر أي مسؤولية عن أي أخطاء أو سهو أو نتائج مترتبة عن استخدام المعلومات الواردة في هذا الكتاب.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في أي نظام لاسترجاع المعلومات أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو عبر التصوير الضوئي أو أي طريقة أخرى، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

"يستطيع بعض المسؤولين العرب -ولا شك- أن يذهبوا إلى القدس المحتلة، ولكن ذلك لن يغير شيئا لأنه سيكون هناك دائما مسلم ينهض لسحق الخونة. إنني أكرر أننا لن نقبل هذا الجسم الغريب عن منطقتنا. إن إسرائيل هي سرطان حقيقي طُعّم به العالم العربي. أنا متفائل جدا، فالمسألة في رأيي مسألة عشرين سنة على الأكثر"([1])

الأخ أحمد بن بلة

[1] - جون أفريك: 1982/09/15

تقديم

"القدس آية من الكتاب فمن ضيعها فقد ضيع الكتاب"

راشد الغنوشي

حينما تقرأ للشيخ راشد الغنوشي أو تستمع إليه وهو يتحدث عن القضية الفلسطينية وعن تعبيراتها المقاومة، تشعر وكأنك تستمع إلى الضمير الجمعي التونسي في تشبثه بقضيته المركزية "فلسطين" ويترجم الامتداد التاريخي لهبة الشباب التونسي وسفره مشيا على الأقدام للانضمام إلى المقاومة الفلسطينية عام 1948. ويحفر في أعماق التاريخ عن بيوت سكنتها ألقاب تونسية في حي المغاربة الذي منحه صلاح الدين الأيوبي لمقاومي المغرب العربي الكبير حماية للقدس من هجمات الصهاينة لما لمسه فيهم من شجاعة وإقدام وشراسة في القتال.

فالشيخ راشد يختزل الشعور التونسي المشبع بحب فلسطين والمنحاز كليا إلى نضال شعبها من أجل تحرير القدس وتحقيق العودة وبناء الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، حيث مازالت مقولة الشيخ راشد الشهيرة " **القدس آية من الكتاب فمن ضيعها فقد ضيع الكتاب**"، ترسم نهجا متكاملا في النصرة والانخراط في الدفاع عن القدس وحمايته والعمل على تحريره.

فعلاقة الشيخ راشد بالقضية الفلسطينية علاقة انحياز كامل لحقوق شعبها ودعم مقاومتها لدحر الاستعلاء الصهيوني الذي يغتصب الأرض ويهتك العرض ويرتكب الإبادة الجماعية على مرأى ومسمع من المنتظم الدولي العاجز عن إيقاف هذه الغطرسة والجنون العسكري.

ورغم كونه الآن سجينا، ورغم تفاقم مصاعبه الصحية وهو في الثمانينات من عمره، إلا أن الشيخ راشد الغنوشي مازال متشبثا بدعم قضية الأمة ونصرة إخوانه المجاهدين؛ حيث

شرع في صيام دائم تقربا إلى الله تعالى الذي يقبل دعاء الصائمين كي ينصر أهل غزة المجاهدين وكامل أهل فلسطين.

واليوم، يرسل الشيخ الغنوشي من داخل السجن رسائل إلى إخوانه المناضلين يحثهم ويحث جميع التونسيين جميع التونسيين إلى النزول إلى الشارع والاحتجاج على جرائم الاحتلال في حق الاطفال والنساء. وقد خط بيده كلمات بليغة في نصرة المقاومة ودعم إخوانه المحاصرين في غزة. حيث قال في رسالته الأخيرة بمناسبة الذكري الثانية لاعتقاله الجائر:

"من سجن المرناقية تحياتي إلى كل المناضلين من أجل الحرية، تحياتي إلى أبطال غزة العزة وأبطال الضفة والقدس، الذين يرابطون دفاعا عن مقدسات الأمة وقد قدموا لهذه الأمة مثلا في الصمود والثبات، بما يمثل قوة تجديد ودفع واستنفاروإيقاظ وبطولة ويُبشّر بعالم جديد: عالم الحرية والعدل، وحري بشباب بلادنا وأمتنا أن يكون في طليعة المناصرين لقضيتنا المركزية والا يتأخروا عن هذه المسيرة المباركة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:21].

من سجن المرناقية تحياتي إلى كل المناضلين من أجل الحرية.

المرناقية في 2025/04/17

راشد الغنوشي

"رئيس آخر مجلس نواب شعب منتخب".

ولعله من عجائب الأقدار أن تتزامن محن اعتقاله وسجنه في تونس مع محنة القضية الفلسطينية وأخطر منعطفاتها. فكما يتابع الآن أخبار طوفان الأقصى من داخل زنزانة سجنه، كان يتابع أخبار حصار منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت في صيف 1982 وهو

في السجن أيضا (سجن برج الرومي في تونس)، ليمتد قلمه مناصرا للكفاح الفلسطيني وداعما لقضية فلسطين من خلال تأليف كتابه المتميز في ذلك الوقت " **القضية الفلسطينية على مفترق طريقين** " حيث تناول الكتاب الذي بين أيدينا، تحليلاً عميقًا لتاريخ القضية الفلسطينية والتحولات السياسية والفكرية التي شهدتها.

وفي هذا الكتاب، يستعرض الشيخ راشد الغنوشي الجذور التاريخية للصراع الفلسطيني مع الحركة الصهيونية بدءًا من الانتداب البريطاني على فلسطين، وما تبعه من تطورات سياسية واجتماعية، ودور منظمة التحرير الفلسطينية في تنمية الشعور الوطني الفلسطيني وقيادة كفاحه المرير لانتزاع حق البقاء وتحرير المقدسات من دنس العصابات الصهيونية، ويقدّم تحليلا نقديا لنهجها السياسي، خاصة فيما يتعلق بالمفاوضات والتسويات التي انتهجتها تحت قيادة الراحل ياسر عرفات.

وقد تطرق الشيخ راشد الغنوشي إلى الموقف العربي من القضية الفلسطينية، واستعداده للارتهان إلى الترتيبات الدولية والإقليمية واستعداده للدخول في مأزق التنازلات والتقهقر إلى الوراء الظاهر في ما ترجمته نتائج مؤتمر فاس، وتأثيرها على مسار القضية الفلسطينية.

كما نبه إلى خطورة الموقف الأمريكي الذي أصبح يتلاعب بالقضية بعد أن وضعها العرب بين أيدي الأمريكان بدون قيد يذكر ولا شرط.

ولذلك، فقد حذر الغنوشي من أخطار التنازل عن الثوابت الوطنية، وأكّد على أهمية المقاومة كخيار استراتيجي لقطع الطريق عن كل مشاريع التسويات المجحفة في حق الشعب الفلسطيني.

لقد استشعر الشيخ راشد منذ حصار منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وما تلاه من نتائج لمؤتمر القمة العربية بمدينة فاس مخاطر الانزلاق إلى التسويات السياسية التي يحكمها الابتزاز الغربي لمصلحة إسرائيل، وأن التصميم الغربي لجر العرب إلى حضيرة الاستسلام يستوجب على الحركات الإسلامية الالتحام بقضيتهم المركزية فلسطين وتعبئة جماهير الأمة لمواجهة هذا التخاذل العربي ومقاومة الإمبريالية المتعسفة والمصممة على تصفية القضية

الفلسطينية. إن إثارة الشيخ راشد لهذه المخاوف التي حفت بالقضية الفلسطينية وما حكم مسارها التفاوضي من تنازلات ومؤشرات لقبول أبخس الأثمان، جعله يسارع إلى التنبيه على ضرورة أن تعي الحركات الإسلامية أخطار هذا المسار، وأن يأخذ العرب قضيتهم المركزية بأيديهم، وأن يلتحموا بشعبها وأن يشاركوه عزمه وإصراره على استرجاع الأرض وعودة المهجرين وتحرير القدس.

لقد أضاء الشيخ راشد الطريق لمجاهدي الأمة وطلائعها المناضلة منذ حصار بيروت سنة 1982، واستحث عزيمة الحركة الإسلامية لترتيب الأولويات، ووضع القضية الفلسطينية في أعلى مراتب الاهتمام، واعتبرها المدخل الرئيسي للتحرر من الهيمنة الغربية وكنس أنظمة العمالة والاستبداد، وتمهيد الطريق للانعتاق الشامل واستعادة الدور الحضاري لأمة كانت تقود الأمم فأضحت تابعة خانعة ومستسلمة لقدر يسطره أعداؤها.

لقد تأثر الشيخ راشد الغنوشي بالمد القومي عندما كان في أوج علوّه، وبشخصية جمال عبد الناصر من خلال خطاباته وشعارات الوحدة والعدالة الاجتماعية التي كان يرفعها، وكذلك بحديثه الدائم عن مواجهة الاستعمار، وهي شعارات مغرية خاصة للشباب الذي يرى الإسلام والعروبة وجهين لعملة واحدة. ففي رحلته إلى المشرق، انخرط في النشاط القومي، واستعد لحمل السلاح دفاعا عن الأمة وعن البلد الذي درس فيه وفاء لقيم التضامن والدفاع عن الشرف العربي والعزة الإسلامية في محيط بدأ فيه الاستعلاء الصهيوني يفرض نفسه على المنطقة العربية.

لقد كانت القضية الفلسطينية محركا أساسيا للشيخ راشد في بحثه عن ملاذات تقوي إيمانه بقضايا الأمة وتفسح له المجال للمشاركة الفعالة في الذب على حياض الإسلام، والدفاع عن شرف الأمة من خلال قناعات قد بلورت مواقفه واتجاهاته وجعلت من القضية الفلسطينية مركزية تحوم حولها باقي قضايا الأمة، بل إن المدخل الأساسي لمعالجة هذه القضايا هو حل قضية فلسطين، ودون ذلك، فإن العالم العربي والإسلامي سيبقي رهين الضعف والتشتت وسيبقى عالما منتهَكا فاقدا للحرية وللكرامة.

فهم الشيخ راشد الغنوشي منذ شبابه أن تحرير القدس يمر حتما عبر كنس الأنظمة العميلة ومواجهة الثقافة الغربية التي أصبحت بوصلة المناهج التعليمية في العالم العربي الإسلامي،

وعلى طلائع الامة أن تنتبه إلى الخلل المنهجي في التعامل مع القضية الفلسطينية من خلال التظاهر في الشارع احتجاجا على مجزرة هنا أو توغل عسكري هناك بينما الشوارع التي يحتجون فيها هي تحت سلطة أنظمة عميلة خانعة مستسلمة أمام عربدة الكيان الصهيوني هذا إن لم تكن داعمة له ومحرضة "كما هو الحال اليوم"، على سحق المقاومة وتجريدها من سلاحها.

انتبه الشيخ راشد الغنوشي إلى المخاطر التي كانت تحدق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ونبه إلى إمكانيات انزلاقها الى استرضاء سياسات الأنظمة العربية والسماح بارتهان قرارها إلى تجاذبات الكيانات العربية الفاسدة والعميلة فأطلق دعوته الشهيرة إلى الحركات الإسلامية بضرورة تحمل أعباء القضية الفلسطينية وتخليصها من الارتهان إلى قرارات الأنظمة، والعمل على تحقيق أهدافها المركزية بتحرير الارض وكنس العدو الصهيوني وعودة المهجرين وإعلان القدس عاصمة لدولة فلسطين المحررة.

لم تكن عودة الشيخ راشد إلى تونس بعد أن أنهى دراسته إلا رغبة منه في أن يعود إلى محضنه الشعبي وليواجه سياسات التغريب التي عصفت بأركان المجتمع التونسي وأحدثت شرخا في التزامه بقيم الدين الإسلامي من خلال إصرار بورقيبة على فك ارتباط المجتمع التونسي بدينه وقيمه عندما أقدم صراحة على الدعوة إلى التخلي عن الصيام في رمضان بدعوى الرغبة في "مضاعفة الانتاج وبناء الدولة الحديثة".

لقد تكررت الأحداث التي تعطي انطباعا أن المشروع البورقيبي جاء ليستهدف المشروع المجتمعي الذي تشكل منذ قرون والذي بني على قيم الإسلام وأحكامه الشرعية وتعويضه بعلمانية مناقضة لقيم المجتمع وضاربة لمحددات هويته، حيث تناقلت وسائل الإعلام المشهد الشهير الذي ظهر فيه بورقيبة ينزع عن المرأة التونسية غطاء رأسها ولحافها الساتر لتظهر عارية مكشوفة الرأس والزندين.

كما أصبحت بنية المدينة العتيقة وموقعها شاهدا على فظاعة المشروع التغريبي في تونس، إذ تحول وسط المدينة وقلبها النابض إلى الشارع الرئيسي الذي سمي "شارع بورقيبة" حيث موقع الكاتدرائية المسيحية والسفارة الفرنسية وما أحاط بها من محلات تجارية وقاعات للسينما ونزل ومرافق حياتية تجبر المواطن على ارتيادها و يكثر الازدحام فيها، بينما تم تعميش "جامع الزيتونة" الذي كان يمثل قلب المدينة العتيقة ليصبح أقرب إلى الجامع المهجور والذي يشرف عليه أئمة تقليديون ينشرون أفكار التبرك والطاعة المطلقة للسلطان ويدعون للرئيس ال"المفدَّى" في الليل والنهار.

كل هذه المظاهر التغريبية وسياسات المسخ الثقافي التي شهدتها تونس في عهد الحبيب بورقيبة، أقنعت الشيخ الراشد أن لا نصر للقضية الفلسطينية ولا دعم لمقاومة الاحتلال إلا بتحرير الشعوب من ثقافة الهيمنة الغربية وافتكاك معني السيادة الحقيقية لهذه الشعوب، وتحقيق شروط المواطنة، وتخليص المجتمع من هيمنة الدولة التي سخر الطغاة أدواتها لاغتيال الوعي وتأبيد حالة الخنوع والاستسلام وفرض التغريب (اتّباع اليهود والنصارى)، ودفع الناس إلى الانسلاخ عن قيم التدين ومرتكزات الهوية.

فالشيخ راشد من خلال تجربة بناء لبنات الحركة الإسلامية مع ثلة من إخوانه بعد عودته إلى تونس، كان يرسم طريقا للأحرار في منهجية تحرير المجتمعات من مخلفات الاستعمار المباشر ومحاربة التغريب، والارتقاء بالوعي المجتمعي إلى مرتبة الالتحام بقضايا الأمة المصيرية، وفي صدارتها القضية الفلسطينية.

لقد كان متشبعا بفكرة الإعداد المبكر لخوض المعارك المصيرية من خلال بناء المجتمعات ونشر الوعي وتنقية حالة التدين التقليدي من عديد الشوائب والرواسب الجاهلية، ونشر من خلال دروسه المتنقلة من شمال البلاد إلى جنوبها الخطاب الديني المستنير والمعتدل، والمنسجم مع متطلبات الإعداد لمراحل قادمة تجعل الشعب التونسي متشبثا بقضيته المركزية " القضية الفلسطينية " مدافعا عنها و مستعدا لتقديم التضحيات اللازمة حماية للأقصى، وتحريرا للأرض المغتصبة، حتى اضحى الشعب التونسي من أكثر الشعوب التي تجتمع أفرادها على حب فلسطين والغيرة على مسجدها الاقصى وأصبحت القضية الفلسطينية العنوان الوحيد الذي لا يختلف عليه اثنان في تونس.

فمن خلال طرح الإيجابيات والسلبيات لمسار منظمة التحرير الفلسطينية، أثار الشيخ راشد العديد من القضايا، ونبه إلى المزالق التي قد تذهب بالجهد والعمل النضالي، وكأنه يتنبأ بحقيقة المآلات التي ستصير إليها منظمة التحرير وقياداتها التاريخية.

ولعل من أهم النصائح والتنبيهات التي وجهها إلى قيادات المنظمة هو ضرورة التحامها بالتيار الإسلامي الواسع وتوطيد العلاقات مع الحركات الإسلامية في دول الجوار الفلسطيني كمقدمة ضرورية لحماية ظهر منظمة التحرير من عواقب التماهي مع توجهات النظام العربي الرسمي الذي سيخذل حتما القضية الفلسطينية. غير أن مسار المنظمة التي جنحت إلى المفاوضات أودى بحياة زعيمها مسموما، ثم ظهر قادة مستعدون لتقديم كل شيء أي للاستسلام بدون شروط تقريبا سوى تمكينهم من البقاء على رأس سلطة هي إلى الوهم أقرب، وإلى خدمة مصالح اليهود وخيانة مصالح الفلسطينيين أقرب كذلك.

لقد استشعر الشيخ راشد المخاطر المحدقة بمسار القضية الفلسطينية منذ نهايات القرن الماضي، ودعا الحركات الإسلامية إلى ضرورة حمل هموم هذه القضية على عاتقها، وأن تحسن تعبئة الشعوب العربية والإسلامية للدفاع عن قضيتها المقدسة، لتلتقط حركات المقاومة دعوته وتستبطنها كموجهات إرشادية لمسار عملها وارتقائها إلى مستوى تمثيل الشعب الفلسطيني والدفاع عن حقوقه.

وكانت حركة المقاومة الإسلامية وعلى رأسها حركة «حماس" في الموعد، وتفاعلت مع أحداث الانتفاضة الأولى وأردفتها بإدارة الانتفاضة الثانية، والتحمت مع حاضنتها الشعبية، وجعلت واجب الكفاح المسلح أولوية لافتكاك حق الشعب الفلسطيني في التحرر والعودة وبناء الدولة دون الارتهان إلى خديعة المفاوضات المنحازة والمجحفة في حق الشعب الفلسطيني.

لقد عايش الشيخ راشد طوفان الأقصى من داخل زنزانته حيث سجن ظلما وزورا وتم الانقلاب على الثورة التونسية وعلى البرلمان الذي يترأسه الشيخ راشد نفسه، ولكنه رغم آلامه وما حلّ به، نسي كل ذلك، وتفاعل مع هذا العمل المقاوِم بكل جوارحه، وأرسل خطاباته المؤازرة للمقاومين، وحرك بتوجيهاته حركة المساندة الشعبية في تونس، وكأنه يرعى تجليات

ما دعا اليه في هذا الكتاب الذي خطه منذ سنين، و يقف على ثمرة ما صنعه أبناؤه المجاهدون المؤمنون بأفكاره وتوجيهاته الداعمة لحركات التحرر وحق الشعوب في افتكاك حريتها و تقرير مصيرها.

إن قدرة الشيخ راشد علي تعبئة طلائع الأمة كبيرة ومؤثرة، وتعتبر كتاباته مرجعا في بناء الفكر الحر ورسم المنهج، وتجديد الخطاب، وتحديد المرجعية. فقد كانت ثوابت فكره بارزة وجلية في أهم القضايا التي تواجه الأمة، وقد كان من أبرز أعلام الفكر والسياسية الذين كتبوا وحرّضوا ودفعوا الجماهير نحو الثورة والتحرر.

وقد وجدت النخب الاسلامية ضالتها في ما نظّر له من قضايا مستشكلة، مثل قضية المرأة ودورها في المجتمع، والتي أكد الشيخ أن الإسلام منحها حقوقا كامنة في ثنايا التوجيهات القرآنية والنبوية، ولكن عجز العقل المكبَّل بثقافة المجتمع المنغلق أن يكتشفها ويمنحها التفسير المتطابق الذي عبر عنه القرآن العظيم والسيرة النبوية العطرة.

ولعل من أبرز القضايا التي أحدثت جدلا واسعا وجعلت الشيخ راشد يصبح أحد أبرز وجوه التجديد الديني المعاصر، اجتهاداته في ملاءمة القيم الديمقراطية مع صميم الخطاب القرآني؛ حيث حرر القضية من عقدتها المستشكلة، ورسم للعقل الإسلامي مرجعيته المركزية المحددة بثوابت القرآن والسنة كمرجعية عليا في رسم التطبيقات العملية والإجرائية لقيم الديمقراطية وبناء الأنموذج السياسي في إدارة السلطة والتداول عليها، وبناء المؤسسات وإفرازها، وجدلية العلاقة بين إرادة الشعب ومرجعيته الدينية العليا. في انتظار التدقيق في المصطلحات والمسمَّيات مثل الديموقراطية، وحكم الشعب، والحرية ودلالاتها..

إن جرأة الشيخ راشد وشجاعته عند الخوض في القضايا المستشكلة والبحث لها عن إجابات مؤصَّلة عميقة الانتساب إلى ثوابت الدين، نابعة من إرادة حقيقية لتحرير العقل المسلم من العجز ودفعه إلى تفكيك القضايا وتأصيلها واستنباط التعبيرات الموثوقة من حيث الدلالة والمرجعية ومستجيبة لاحتياجات واقع المسلمين وتعبر عن طموحاتهم خارج أي إلزام بتقليد أعمى أو موروث محنط لا يصمد أمام احتياجات الواقع ومتغيراته.

لقد حرص الشيخ راشد بعد الثورة التونسية وانخراط حزبه في الحكم، على تنزيل اجتهاداته الفكرية والسياسية على أرض الواقع من خلال تجربة الاشتراك في إدارة السلطة مع شركاء الوطن، ومحاولة الارتقاء بالوعي المجتمعي نحو ممارسة ديمقراطية واعية تكرس القناعة بالعيش المشترك بين مكونات المجتمع المختلفة، وتجعل من الوطن خيمة جامعة لإرادة الجميع في إدارة الدولة وتنفيذ سياساتها. حيث حرص على تثبيت سياسة التوافق قناعة منه أن الإقصاء والتصنيف الإيديولوجي مهلكة لمكاسب الوطن، وأن الاحتكام إلى صندوق الاقتراع هو الفيصل في تحديد اختيارات الشعب وتنفيذ إرادته.

ولعله أن يحسب للشيخ راشد أنه مدد في عمر التجربة التونسية في الحرية والديمقراطية فاستمرت عشر سنوات كاملة حرص من خلالها على حماية التجربة الديمقراطية وضمان الاستقرار لها، وتجنيبها الانتكاس، وحتى إن سقطت أخيرا هذه التجربة بإرادة خبيثة وتواطئ دولي وإقليمي وداخلي، فإن للشيخ راشد شرف المساهمة في المحافظة على تجربة المسار الديمقراطي وحرية التعبير على مدى تلك السنوات العشر..

لقد أثبت الشيخ راشد من خلال تجربة رعاية إدارة السلطة في تونس أن الفكر السياسي الإسلامي قادر على تحقيق أنموذج متقدم في إدارة السلطة وتغليب المصلحة وحماية العيش المشترك بين مكونات المجتمع المختلفة فكريا، كما في تصورها لأنموذج المجتمع المنشود. وحاول أن يقنع الجميع بأن الاحتكام إلى صندوق الاقتراع هو الفيصل في تحديد إرادة الشعب واختياراته.. ومن الأمثلة الفعلية على صدق هذا التوجه، ما قاله عندما وقع اغتيال بعض الشخصيات السياسية واتهام النهضة ظلما بهذا العمل المشين ما فرض عليها التنازل عن السلطة، فقد قال بكل وضوح: «خسرنا الحكومة ولم نخسر الحرية لشعبنا. فبقاء الحرية واستمرارها سيعيدنا حتما إلى السلطة إن كنا أهلا لذلك، وكنا قادرين على أن نقنع شعبنا من خلال برامجنا بإعادة انتخابنا».

إن سقوط التجربة الديمقراطية في تونس والانقلاب عليها، ما كان للشيخ راشد ولا لشركائه في السلطة القدرة على تجنبها، ذلك أن إرادة الهدم وخنق التجربة والتحريض على رفض مشاركة النهضة في إدارة السلطة، كانت أقوى وأشرس من كل الممكنات المتوفرة لحماية

التجربة. فشرف التجربة التونسية وأنموذجيتها تكمن فوق كونها كانت فاتحة الثورات العربية، في صمودها لسنوات عدة لتكون آخر تجربة جسدت إرادة الشعب في سلسلة تجارب الربيع العربي.

وبعد أربع سنوات من الانقلاب على التجربة الديمقراطية، تأكد الجميع أن الحرية والديمقراطية التي عاشها الشعب ونخبه السياسية عندما كانت النهضة شريكا في السلطة وحامية لمكتسبات الثورة، كانت مكسبا ثمينا افتقده الجميع تحت سلطة الرئيس قيس سعيد الانقلابية التي كممت الأفواه، وزجت بالمعارضين في السجون، كما فقد الشعب قدرته الشرائية وتدهورت أحواله المعيشية وأصبح يبحث لنفسه عن حلول خارج ارادة السلطة وواجب رعايتها لمصالحه.

ورغم قدره الذي قاده للسجن ثمنا لجهده في فرض الحرية وحمايتها، وإصراره على إنجاح التجربة الديمقراطية، فإن الشيخ راشد نحت لنفسه رمزية لا يمكن تجاوزها، واستشعر الجميع من رفقاء السياسة والمعارضين لأفكاره أنه رجل صادق في انحيازه للحرية والعيش المشترك، وأنه بسقوط التجربة وإدخاله السجن ظهرت عورات الدكتاتورية، وكشرت جحافل الدولة العميقة عن أنيابها، ونكلت بكل صوت حر، وانتهت مرحلة الانفتاح السياسي، وخنقت الحياة العامة، وفرضت القوانين الردعية والسالبة للحرية ليتحول الوطن إلى سجن كبير معظم أفراد الشعب فيه مدينون متهمون .

والعجيب في الأمر، أن الشيخ راشد رغم كبر سنه وحالة التضييق الممنهج المسلط عليه، بقي حرا في فكره، قويا في إرادته، تخترق قناعاته بالديمقراطية والعيش المشترك مع خصومه وفضح الانقلاب وزبانيته الحواجز الخرسانية وأسوار السجن العالية، لتصل إلى أتباعه ومخالفيه. وقد قال في آخر رسالة له:

إن الديمقراطية كانت دائما «مشكلنا مع كل الأنظمة التي مرت على البلاد منذ الاستقلال ولا نزال حيث كنا، ننشد اللقاء مع الجميع على قاعدة تلك المبادئ، نلتقي لقاء الفكرة ولا نلتقي كلقائنا الآن: إسلامي، ليبرالي، يساري وغيره في السجون والمعتقلات، أو مشردون في دول العالم، تيارات اختلفت في رؤاها والتقت في سجون الدكتاتورية ومنافيها». ويضيف: «هنا في

سجن المرناقية (أناس) مختلفون، لكن تجمعهم معارضة الدكتاتورية، فرقتهم السياسة وباعدتهم الإيديولوجيا وجمعهم سجن الدكتاتورية وقيود الاستبداد (...) يمينا ويسارا معتقلون بأمر من الدكتاتورية والحاكم المستبد على أنهم «إرهابيون» فمن يصدق أن هؤلاء إرهابيون؟!».

هكذا هو الشيخ راشد مبتلى في كامل مراحل حياته، لم تترك له أنظمة الاستبداد والدكتاتورية الفرصة ليعمق أفكاره ويختبر صلابة واقعيتها عبر تجارب حية في إدارة السلطة والمجتمع. فلا يمكن للمتابعين والنقاد تقديم تقييمات دقيقة وعلمية لوجاهة الأفكار والنظريات التي أنتجها الشيخ راشد ونافح عنها إلا إذا توفرت المناخات المستقرة والأطر الخالية من أسباب التثبيط والشيطنة الكيدية لتجليات التجربة ونواياها الصادقة.

يعايش المفكر الممتحَن راشد الغنوشي التحولات الإقليمية والدولية التي أفرزها طوفان الأقصى من زنزانته، ويشاهد بأم عينه المآلات التي آلت إليها منظمة التحرير الفلسطينية التي عاب عليها إفراطها في مهادنة النظام الرسمي العربي، واستنكاف قيادتها التي يغلب على توجهاتها الفكر اليساري المتحفظ، من الاقتراب من التيار الإسلامي كمكوّن أساسي للحاضنة الشعبية العربية والإسلامية للاستفادة من زخمه لصالح القضية الفلسطينية، وميل المنظمة إلى الاطمئنان إلى التسويات السياسية مقابل التخفف من خيار البندقية الذي يزعج الجهات الرسمية العربية والقوى الدولية الراعية للتسويات والتفاهمات السياسية.

وقد تأكدت تنبيهات الشيخ راشد لقيادة المنظمة، وتحققت تنبؤاته ببروز منظمات أخرى أكثر التحاما وتمثلا لخيارات منظمة التحرير وللأسس التي قامت عليها وأولها خيار الكفاح المسلح حتى تحرير الأرض وصيانة العرض وعودة اللاجئين.

وقد كشف طوفان الأقصى مخاطر ما كانت تخطط له القوى الدولية بتواطئ مع النظام الرسمي العربي، وتماهي قيادات منظمة التحرير مع هذا التوجه التصفوي للقضية الفلسطينية عبر تكريس ما سمّي "اتفاقات أبراهام"، وجر الأنظمة العربية إلى حظيرتها من أجل الاعتراف بالكيان الصهيوني والتطبيع معه ونسف آخر الأحلام الممكنة لبناء الدولة الفلسطينية المستقلة.

لقد أثبتت أحداث السابع من أكتوبر أن الشيخ راشد كان محقا في تخوفه من دسائس النظام الدولي ونواياه المنحازة لتحقيق الحلم الصهيوني بتصفية القضية الفلسطينية وإنهائها إلى الأبد، واستعداد النظام العربي للتماهي مع ذلك، وتخليص المنطقة من صداع الدفاع عن القضية الفلسطينية.

فكانت حركة المقاومة الإسلامية هي الكيان الشرعي الذي ولد من رحم الشعب الفلسطيني ليقود نضاله ضمن الشروط والمحددات التي رسمها الشيخ راشد الغنوشي. فقطعت حركة المقاومة الاسلامية بمنجزها العظيم فجر السابع من أكتوبر الطريق على مخططات التسوية المنحازة، وأعادت للقضية الفلسطينية وهجها، وفضحت نفاق الغرب، وعرّت وجهه القبيح وسكوته المفضوح على الإبادة الجماعية، وتبريره لآلة القتل والتهجير، وأنّ الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان إنما يحصل فقط عندما تتجانس هذه الكلمات مع مصالحه وأغراضه الاستعمارية.

لقد اكتشف العالم الحر زيف الشعارات التي كانت ترتكز عليها ثقافة الغرب، و ظهرت أبشع مظاهر نفاقه وكيله بمكيالين، وانحازت أعداد واسعة من الضمائر الغربية المخدوعة إلى عدالة القضية الفلسطينية، وانهارت سطوة الإعلام الصهيوني على العقل البشري الغربي، وتعرّت جرائم الصهيونية، وانكشف خطرها على العالم الحر، واستعادت القضية الفلسطينية وهجها، وتربعت على عرش الاهتمام العالمي، وأصبحت رموز المقاومة وقياداتها قدوات ينتظر الناس خروجها للإعلام، فيسمعون لها بانتباه؛ وتحول أبو عبيدة الناطق الرسمي باسم كتائب القسام إلى أيقونة عالمية تختزل معنى النضال من أجل الحرية والانعتاق و كسر آلة الحرب الهمجية و تمريغ أنف الصهيونية المدعومة غربيا في التراب.

لقد حققت المقاومة الفلسطينية أقدارا واسعة من مقولات الشيخ راشد، وتناغمت مع توجيهاته، وانتبهت إلى تحذيراته، فجعلت من ثوابت القضية الفلسطينية بوصلتها، واقتربت من النظام الرسمي العربي في حدود ما يدعم نضالها ويكسر عزلتها، واتخذت من الكفاح المسلح منهجا ثابتا لا تقبل التفاوض في شأنه، وتوسعت في محيطها العربي والإسلامي لتفسح المجال لكل القدرات والطاقات في شتى أنحاء الأرض لتنخرط في دعم وتعزيز قدرات المقاومة وإبداعاتها في قهر العدو الصهيوني وكسر هيبته. فبرز رجال تركوا بصماتهم في صفحة الجهاد

الفلسطيني قبل رحيلهم مثل الشهيد محمد الزواري، والشهيد إسماعيل هنية والشهيد محمد الضيف والشهيد إبراهيم السنوار والقائمة تطول..

لقد انتبه الشيخ راشد مبكرا في كتابه الذي بين أيدينا إلى افتقار الساحة العربية والاسلامية إلى نماذج مماثلة لما أفرزه الطوفان تسهم في الحراك الثوري والتعبئة الجماهرية، ولو وجدت هذه القدوات الثورية والجهادية لكانت سندا داعما للثورات العربية وللقضية الفلسطينية الأمّ وأساس كل قضية ثورية عادلة.

فقد كشفت أحداث السابع من أكتوبر عجز الحركات الإسلامية وطلائع الأمة عن المساندة الفعّالة لجهد المقاومة، ووجدت المقاومة نفسها في الميدان وحدها لا نصير ولا مجيب في غالب الأحيان، وتحملت أعباء الدفاع عن شرف الأمة وحدها، وبإمكانياتها البسيطة.

إن الطموح الذي عبر عنه الشيخ راشد، الداعي إلى تحالف محور المقاومة الإيراني والفلسطيني والحركات الإسلامية في دول الجوار (الأردن ومصر وسوريا ولبنان)، قد تحقق منه جزء مهم، وبقي الجزء الأهم خارج دائرة الفعل والتأثير. فلا إخوان مصر ولا الأردن ولا سوريا استطاعوا أن يكونوا جاهزين لما حصل طوفان الأقصى، بل وجدوا أنفسهم في حالة انكسار وتشتت بسبب الملاحقات والسجون، وحالة الاستئصال الممنهج الذي تمارسها الدكتاتوريات العربية العميلة.

لقد استعدت حركة المقاومة الفلسطينية كما يجب لاستحقاقات السابع من أكتوبر، ولكن لم تصحبها استعدادات باقي قوى الأمة عدا هبّة جماهير الأمة العفوية العاجزة عن فرض سقوف عالية من الدعم والمساندة في ظل أجهزة أمنية لا تحذق سوى سحق الحراك الجماهيري المساند للمقاومة ولكن لا يعنيه توجيه بندقيته لصدر العدو الصهيوني وهذا حال أجهزة الأمن الفلسطيني المسيّرة بتوجيهات من رأس السلطة الفلسطينية.

لقد تكررت دعوات الشيخ راشد إلى ضرورة دعم التشاور، والعمل المشترك بين طلائع الأمة العربية والإسلامية، والانكباب على تقييم تجارب الربيع العربي، والاستفادة من الأخطاء

السابقة، والالتحام بالمقاومة الفلسطينية، وجعلها مركز الحراك وبوصلة التحرر من الاستبداد والدكتاتورية.

ذلك أن القضية الفلسطينية في منظور الشيخ راشد، ليست قضية سياسية، ولا هي حالة تهجير قسري لشعبها فقط، ولكنها قضية حضارية تختزل الصراع الغربي الإسلامي، وتعبر عن حقيقة التوازنات المختلفة في العلاقات الدولية، وأنّ منطق القوة والاستعلاء هو منهج الصراع في المفهوم اليهودي النصراني، وأنّ القيم الحضارية والإنسانية ليست سوى بضاعة تروج من أجل تحقيق المصالح، وتغيب حين تتعرض مصالح هذين الحزبين المتضامنين في فرض كيان غاشم مغتصب إلى التهديد.

سيبقي الشيخ راشد كأحد أكثر الرموز العربية والإسلامية وضوحا في رسم طريق الحرية ومساندة الشعب الفلسطيني، والدفاع عن علاقات دولية متوازنة وندية، مبشرا بضرورة تحقيق تعايش حضاري ينتفي فيه منطق القوة والغلبة والاستعلاء العرقي، الأمر الذي لن يتحقق إلا في ظل غلبة الإسلام وإلا فسيكون هذا التعايش أوهاما وأضغاث أحلام.

كما أنه سيبقى رائدا مستنيرا يقدم لأجيال الشباب رؤية في الدين وفي السياسة وفي العلاقات الدولية متحررة من أدران الماضي ومكبلاته، ومنفتحة على منتجات الحضارة المحققة لرفاهية الإنسان ضمن مرجعية متصالحة مع ثوابتها، منسجمة مع واقعها، ومبدعة في استنباط الحلول لمشكلات عصرها.

*** جهدنا في هذا الكتاب**

اجتهدت الهيئة العلمية لوقف خير الدين باشا إلى جانب المشاركة الفعالة مع الهيئة العالمية لأنصار النبي صلى الله عليه وسلم في إعداد مؤتمر "فكوّا العاني"([2])، في إخراج هذا

[2] - مؤتمر "**فكّوا العاني**" أقامته الهيئة العالمية لأنصار النبي صلى الله عليه وسلم استجابة لدعوة وجهت إلى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين من قبل المشرفين على وقف خير الدين باشا في إسطنبول. وحضره جماعة معتبرة من أهل العلم والسياسة ومن المفكرين الذين دعوا جميعا إلى إطلاق سراح الشيخ الغنوشي، واعتبروا سجنه ضررا ألحق بالأمة الإسلامية جمعاء فوق كونه ظلما وعدوانا على أحد كبار رجال الفكر الإسلامي وذلك في 10 سبتمبر 2024، وكان للدكتور محمد الصغير رئيس الهيئة الدور الكبير في إقامة هذا المؤتمر.

الكتاب الذي لم نعثر منه سوى على نسخة قديمة ضمن ملف PDF، صُدّرت باسم "**معاذ الصابر**" وهو الاسم الذي سمّى به الشيخ راشد نفسه أيّام المحن والبلاءات الشديدة، فكان علينا أن ننقلها إلى ملف WORD، وأن نشرع بالتالي في تحقيقها وتدقيقها لغويا وفنيا حتى خلصنا إلى الكتاب على الهيئة الأصلية كما كتبه الشيخ راشد بإذن الله تعالى.

وكان من أهم ما أنجزناه أيضا، ويعتبر إضافة نافعة، متابعة الأَعلام الوارد ذكرهم في الكتاب والأحداث والشخصيات والملتقيات وكل ما يستدعي التوضيح والترجمة له، فخصصنا لذلك هوامش بأسفل الصفحات حتى يكون الكتاب مفهوما والأحداث واضحة وذلك أخذا في الاعتبار أن الأحداث والشخصيات التي تحدث عنها الشيخ الغنوشي كانت تملأ المسرح السياسي في النصف الأخير من القرن الماضي (القرن العشرين)، وخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة منه، وأنها لم تعد معروفة في وقتنا هذا.

كما حرصنا على إضافة شهادات لأساتذة ومفكرين عرفوا الشيخ راشد عن قرب وكانوا من أصدقائه ومحبيه، واطلعوا على مدى اهتمامه بالقضية الفلسطينية.

وختاما، فإننا إذ نهدي هذا الكتاب القيّم الذي كتبه الشيخ راشد في سجن برج الرومي سنة 1982 إلى هذا المجاهد الصابر المحتسب وهو يقضي حياته اليوم في سجن جديد، ليكون عربون وفاء وإيمان بأن الكلمات الصالحة لا تموت،

فإننا ندعو المثقفين وكل المهتمين بمسار القضية الفلسطينية، وقضية الوحدة العربية، وقضية العمل الإسلامي إلى قراءته، اعتبارا لكونه يمثل وثيقة تاريخية جديرة بالاعتبار والتنويه والاحترام.

الهيئة العلمية لوقف خير الدين باشا التونسي

إسطنبول في

2025/05/19 الموافق ل 21/ ذو القعدة/1446

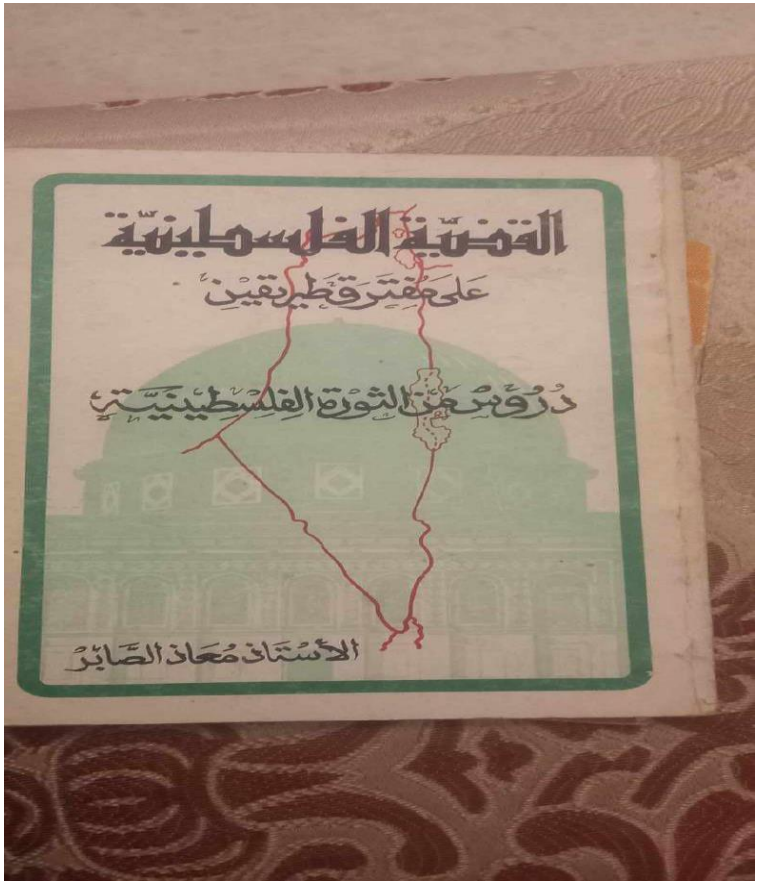

صورة غلاف الكتاب الأصلي الذي عملنا على تحقيقه.

الفصل الأول

الإطار التاريخي للمشكل الفلسطيني

في الوقت الذي كانت فيه دورة من دورات الحضارة الإسلامية تلفظ أنفاسها بغروب شمس العثمانيين، كانت حضارة الرجل الأبيض قد اكتمل نموها إثر سلسلة من الثورات الوطنية والعلمية ضد الهياكل والمضامين الفكرية والسياسية والاقتصادية الوسيطة، وكانت خلال ذلك قد امتلأت عنفوانا ورغبة وتصميما جامحين في السيطرة على كل شيء، وما احتاجت إلى كبير جهد من أجل وضع يدها على حضارة أنهكها الاستبداد وفقدت صلتها بالحياة وسيطرتها عليها، فغطت في نوم عميق، وتمكن الغرب في وقت سريع من الإطاحة ببقايا هياكلها النخرة واستغلال خيراتها الوفيرة وتدمير طاقاتها.

وفي غمرة الصراع بين القوميات في أوروبا، كانت بذور قومية جديدة تجد المناخ ملائما لنموها، هي القومية الصهيونية التي كانت تنمو وسط الصراع والاضطهاد، مستوعبة أساليب النضال ومناهج الفكر وثمار الحضارة الغربية عامة. وقد كان اليهود يمثلون في أوروبا النخبة المثقفة التي ساهمت في الثورة ضد الهياكل السياسية والدينية والاقتصادية التقليدية. ولم ينقض القرن التاسع عشر إلا وقد تبلورت القومية الصهيونية في مجموعة من التنظيمات والزعامات منبثة في معظم المعمورة وخاصة في أوروبا، وحدت بينها خطة في مؤتمر بال 1897 حددت لليهود هدفا هو تكوين دولة تجمع شتاتهم في فلسطين خلال خمسين سنة يسخّر اليهود خلالها كل نفوذهم العلمي والاقتصادي والإعلامي والسياسي لتحقيق ذلك الهدف مستغلين كل الظروف والتقلبات.

ولم تنقض الحرب العالمية الأولى إلا وقد حصلوا من بريطانيا العظمى على وعد بتكوين دولة قومية لليهود في فلسطين وذلك سنة 1917، وباشتراك مع جيش الشريف حسين - حاكم الحجاز يومئذ - تمكنت انقلترا من إجلاء العثمانيين عن فلسطين بعد أن فشل اليهود في إغراء السلطان العثماني عبد الحميد ببيعهم فلسطين. وفي ظل الحماية البريطانية فتحت فلسطين أمام الهجرة اليهودية. ولقد عبر العرب عن رفضهم لوعد بلفور وللهجرة اليهودية وذلك من خلال سلسلة من الانتفاضات والثورات في أفريل 1920 وماي 1921 وأوت 1929؛ وهيأت هذه الانتفاضات لثورة عارمة سنة 1936 و1939 وكان أهم زعامات هذه المرحلة الشيخ عز الدين القسام، وكادت هذه الانتفاضات تجهض أحلام اليهود لولا تدخل الإنقليز وخذلان

الحكام العرب. وفي نوفمبر 1947 أصدرت الأمم المتحدة القرار رقم 181القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية.

وفي 15 ماي من سنة 1948 أعلنت بريطانيا انتهاء الانتداب، وفي الوقت نفسه أعلنت المنظمة الصهيونية قيام دولة إسرائيل.

دخلت الجيوش العربية الحرب وانسحبت بعد أن وافقت على الهدنة إثر سلسلة من الفضائح والخيانات اقترفتها الأنظمة العربية ذهبت بكل التضحيات التي قامت بها عدة فرق وتنظيمات فدائية شعبية مثل تنظيم الإخوان المسلمين.

أدت مرارة الهزيمة والنقمة الشعبية على خيانات الأنظمة العربية إلى سلسلة من الانتفاضات الشعبية والانقلابات العسكرية بدأت باغتيال الملك عبد الله في القدس، واطيح بالنظام المصري والسوري والعراقي وقامت أنظمة وأحزاب ترفع شعار تحرير فلسطين ومنددة بخيانات الماضي محاوِلة إعادة بناء الأنظمة على أسس جديدة، مستبدلة الولاء للمعسكر الغربي الذي أوجد إسرائيل بالولاء للمعسكر الشرقي والتوجهات الرأسمالية بتوجهات اشتراكية. ولقد غدا الفلسطينيون مادة خصبة للاستغلال من طرف الأحزاب والأنظمة العربية يتاجر الجميع بقضيتهم ويستغلونهم في تحقيق أهدافهم، فالفلسطيني بعثي او قومي عربي أو ناصري أو اشتراكي يقاتل أخاه الفلسطيني عبر الصراع بين الأحزاب والأنظمة.

ولم يستطع المرحوم أحمد الشقيري الذي كوّن منظمة التحرير الفلسطينية أن يحرر الفلسطينيين من استغلال الأحزاب والأنظمة لهم، ولم يتجاوز بالفلسطينيين مرحلة العمل السياسي التوعوي التقليدي إلى العمل العسكري والسياسي المستقل.

سنة 1956 قامت إسرائيل متحالفة مع بريطانيا وفرنسا الاشتراكية بالهجوم على قنال السويس بعد ان أمّمه عبد الناصر إثر ضغط المنظمات الإسلامية الفدائية ونشاطها العسكري في القنال ضد الإنقليز الذين كان مقررا إخراجهم سنة 1968 من القنال. غير ان مطامع المستعمرين الجدد الروس والأمريكان لخلافة المستعمرين القدامى الفرنسيين والإنقليز قاد الأولين إلى اتخاذ موقف حاسم ضد المعتدين وضع حدا للعدوان، ولكن إسرائيل لم تعد بخفي حنين، فقد وافق عبد الناصر في وثيقة سرية على السماح لإسرائيل بحق المرور

في مضيق تيران والبحر الأحمر وهو أمر حيوي جدا بالنسبة لإسرائيل، فقد وسعت نفوذها السياسي والاقتصادي في آسيا وفي شرق إفريقيا، كما وافق على أن تتولى قوة أممية حماية هذا الحق.

ولقد استغلت هذه الاتفاقية أيما استغلال من طرف خصوم عبد الناصر في العالم العربي وخاصة البعثيين؛ فلما قرر سد الثغرة التي فتحها أمام إسرائيل لإسكات خصومه وطرد القوة الأممية اعتبرت اسرائيل ذلك إعلانا للحرب عليها، فبادرت بهجومها الصاعق، فكانت حرب الأيام الستة (1967) الذي بدأ بتحطيم الطيران المصري وهو القوة الأساسية لها.

وقبل ذلك دخل عنصر جديد هام في الأحداث سيكون له أثر فعال في تحديد مصير المنطقة. ففي سنة 1965 أعلنت حركة التحرير الفلسطينية (فتح) انطلاقة الثورة الفلسطينية، وقد مكنها النظام البعثي في سوريا من القيام بعمليات فدائية ضد اسرائيل انطلاقا من التراب السوري، وكان ذلك مندرجا ضمن استراتيجية البعث في المزايدة على النظام المصري وتحديه وجره إلى الصدام مع إسرائيل مما هو حريص كل الحرص على تجنبه، وكان يصحب ذلك التحدي دعاية مركزة ضد النظام الناصري واتهامه بالتخاذل، فكانت عمليات منظمة التحرير عاملا آخر في تقريب ساعة الصدام مع اسرائيل سنة 1967 الذي انتهى بتحطيم الجيش المصري واحتلال سينا والضفة الغربية والقدس والجولان.

تمكنت منظمة التحرير من تصعيد عملياتها بعد نكبة 1967 انطلاقا من الأردن -خاصة- في الوقت الذي كانت مصر تشن على القنال حرب استنزاف ضد القوات الاسرائيلية، فكانت تلك الفترة أصعب الفترات التي عرفتها إسرائيل في تاريخها، وما كان يمكن لتلك التجربة أن تستمر دون أن يهتز الكيان الصهيوني ذي الأبعاد المحدودة الذي لا يتحمل حربا طويلة المدى، هنا يأتي التدخل الأمريكي الحاسم لإيقاف القتال العربي ضد إسرائيل وتحويله إلى قتال العرب ضد بعضهم بعضا.

جاءت أمريكا لتضع العرب على طريق المتاهة والخيانة والحلول الاستسلامية التي بدأت بمشروع روجرز الذي أوقف قتال ضد إسرائيل لتتفرغ الأنظمة لتصفية المقاومة فلسطينية

بدءا بمجزرة الأردن المعروفة بأيلول الأسود سنة 1970، مرورا بتل الزعتر 1976 على يد الجيش السوري والميليشيا المسيحية بعد أن انتقل الثقل الفلسطيني إلى لبنان مستفيدا من التوازن الطائفي فيها ومن الحريات الديمقراطية المتوفرة فأرسوا دعائم لمنظمة أنموذجية وبرهنوا على قدرة فائقة في التنظيم الإداري والسياسي والأمني والقضائي والثقافي والاقتصادي، فضلا عن الجانب العسكري، مستفيدين من المستويات العلمية الممتازة التي يتمتع بها الفلسطينيون، فقد كانوا يمثلون أرفع نسبة للمتعلمين في البلاد العربية حتى قبل اغتصاب اسرائيل لوطنهم، واشتد إقبالهم على التعليم بعد ذلك كأداة لإثبات وجودهم فغدوا أنموذجا للنخبة المثقفة في البلاد العربية، حيث يتولون إدارة أهم المؤسسات العلمية والفنية في عدة بلاد عربية وحتى غربية بكفاءة عالية لدرجة تعذر الاستغناء عنهم في عدة أنظمة... وغدوا قوة تخشاها الأنظمة العربية بأكثر مما تخشى إسرائيل؛ فقد غدت مخيماتهم دولة داخل الدولة لها نظامها الداخلي المستقل مما هدد التوازن الطائفي الذي عليه لبنان، فتصدت لهم الميليشيات المسيحية التي كانت تتلقى من الغرب ومن إسرائيل الدعم الهائل وحتى من الأنظمة العربية الموالية للغرب. ولما أدركت تلك القوى عجز الكتائب في الحد من نفوذ الفلسطينيين الذين أوشكوا مع حلفائهم الوطنيين من المسلمين والأحزاب التقدمية (وكلها ذات أصول إسلامية)، أن يقضوا على البنية الطائفية التي أرستها فرنسا سنة 1943 والقاضية بتوزيع السلطة توزيعا طائفيا يجعل المارونيين هم الطرف المتفوق فمنهم ينبغي أن يكون رئيس الجمهورية ووزير الدفاع وقائد الجيش ووزير الخارجية الى جانب امتيازات أخرى كثيرة، عندها أعطي الضوء الأخضر لجيش حافظ الأسد ليقوم بالنيابة عن كل القوى والأنظمة العربية والدولية وإسرائيل بمهمة تحجيم الفلسطينيين فكانت مجازر 1976 في لبنان مثل تل الزعتر الشهيرة حيث واجه الفلسطينيون وحلفاؤهم الوطنيون اللبنانيون الكتائب المسيحية والجيش السوري في نفس الوقت، فاستعاد الكتائب نفوذهم بعد أن انحصروا في جزء صغير من لبنان، ووضع الجيش السوري يده على لبنان - عدا المناطق المسيحية التي غدت تحت السيطرة المطلقة

للكتائب – وأطفأ حافظ الأسد نار الثورة الملتهبة على حدوده والتي يهدد حريقها بالانتشار في كامل المنطقة وهي هشيم، خاصة بعد أن غدا السلاح متاحا للجماهير وهي غاضبة على

أنظمتها مما يغريها باتخاذ الثورة المسلحة سبيلا لتصفية العملاء. ولكن الفلسطينيين ما لبثوا أن ضمدوا جراحهم ولموا شعثهم في المواقع التي احتفظوا بها سواء في بيروت أو الجنوب اللبناني وعرفوا كيف يحتفظون بعلاقات طيبة مع كل الأنظمة العربية بما في ذلك النظام السوري والأردني مصرين على استقلاليتهم عن كل الأنظمة والاستفادة من التناقضات العربية لصالح قضيتهم على أساس تعايش سلمي حذر. وكانت الأنظمة تحمي نفسها من عمليات الفدائيين عن طريق تشديد الرقابة على تحركاتهم داخل حدودها و إعلان ولائها لمنظمة التحرير ودعمها بالمال في نفس الوقت.

فبعد أن حصل الفلسطينيون على اعتراف من مؤتمرات القمة سنة 1965 وما بعدها على اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد لهم، تلقت كثيرا من الدعم المالي خاصة بعد ظهور ثورة البترول. وبقدر ما كانت الأنظمة العربية تتردى في مزيد من الهزائم والممارسات الدكتاتورية ضد الجماهير، بقدر ما كانت المنظمة تثبت قدرة فائقة على ضرب العدو الصهيوني في كل مكان مما أكسبها نوعا من الشعبية لدى الجماهير على اعتبار أنها الأمل في استرجاع الكرامة بعد أن نفضت يدها من الأنظمة، مما يهدد بعودة الوعي للجماهير وثقتها في قدرتها على التصدي للإمبريالية رغم تفوقها العسكري إن هي اتخذت الثورة المسلحة سبيلا، وذلك ما كان يقلق الحكام ويجعلهم في الوقت الذي يقدمون فيه المعونات المالية للثورة الفلسطينية ويعلنون تبنيهم لها، تراهم يتآمرون عليها ويتحينون الفرصة للإيقاع بها مستغلين حساسية الجماهير في المناطق التي تعايشوا فيها مع الفلسطينيين. فقد أفرز تشردهم وفقرهم وعدم شعورهم بالأمن والاستقرار كثيرا من المسالك اللاأخلاقية والانتهازية والعنف جعلهم مكروهين في المناطق التي لجؤوا إليها. ولم يمنع ذلك من عطف الجماهير عليهم وإعجابها بهم كلما حلّت بهم نكبة أو نجحوا في تسديد ضربة للعدو، مما جعل الأنظمة - بصفة عامة – تتخلى راغمة عن سياسة مواجهة الفلسطينيين وتصفيتهم في العلن دون أن تزيد من شعبيتهم - خاصة - وهذه الأنظمة تعاني من مشاكل وثورات داخلية حادة كما هو حال النظام السوري. فلم يبق أمام الإسرائيليين حماة الأنظمة العربية والمصالح الامبريالية إلا أن يتولوا بأنفسهم تصفية الكيان الفلسطيني أو محاولة ذلك، فكان الهجوم على لبنان وبطولات ومجازر بيروت صيف 1982.

الفصل الثاني

الشَّعُورُ الوَطني الفلسطيني ومُنظمة التحرير

نشأ الشعور الوطني الفلسطيني – شأن الشعور الوطني اليهودي عموما- عبر المآسي والمحن والالام التي عاشها الفلسطينيون مشردين في كل مكان. ولقد كان للعمليات الفدائية الناجحة التي حققها عرفات والفتية الملتفون حوله ضد الكيان الصهيوني الذي استسلم العرب له، دور فعال في بعث وتأجيج الشعور الوطني لدى أولئك المشردين، أولئك الذين كاد شعورهم الوطني أن يتلاشى وأملهم في استرداد أرضهم أن يضمحل. فقد عملت الأنظمة العربية - كما تقدم - على استغلالهم أبشع استغلال طوال الخمسينات والستينات.

لقد أيقظت طلقات الرصاص المنبعثة من بنادق أولئك الشباب الفدائي المشاعر الوطنية الغافية، وما لبثت تلك المشاعر أن تبلورت حول هدف محدد هو تحرير الوطن المغتصب وإقامة الدولة الفلسطينية. ولقد مرت فكرة الدولة الفلسطينية بمراحل بدأت بالدعوة إلى إقامة دولة لائكية على كل فلسطين يتعايش فيها العرب واليهود، ثم تحددت في إقامة دولة في المنطقة التي احتلت بعد 1967، ثم انحصرت أكثر في إقامة دولة على كل شبر يحرر من فلسطين. ولقد كانت منظمة التحرير وهي تجمع لمجموعة كبيرة من المنظمات الفدائية والتجمعات والهيئات النقابية الفلسطينية، كانت هي العدسة التي تجمعت فيها الأشعة المبعثرة، فحولتها إلى قوة دفع ونضال على جميع المستويات. وحيثما وجد الفلسطينيون في الأرض المحتلة قبل 1967 أو بعدها في الوطن العربي أو خارجه، فقد غدت المنظمة الجسم الواحد الذي تجسدت فيه كل الأرواح الفلسطينية على اختلاف مواقعها وانتماءاتها العقائدية ومستوياتها الثقافية والاقتصادية، كل يناضل في موقعه من أجل تحقيق هدف المنظمة، وليس الكفاح المسلح الذي غدا ممثلا بجيش من الفدائيين منظم ومسلح وممول ومدرب تدريبا عاليا إلا أداة من أدوات النضال الفلسطيني.

ورغم أهمية العمل المسلح الذي ينطلق من قناعة أن حركات التحرير التي حققت أهدافها دون اللجوء إلى النضال المسلح لا تكاد تذكر كما أكد جورج حبش أحد أبرز قادة المنظمة([3])، والذراع العسكري كما يؤكد قائد فلسطيني آخر، بالغ الأهمية لحماية التركيب السياسي، وكورقة رابحة في أية مفاوضات، مضيفا بأنه لم يدر في خلد أكثر المتفائلين

[3] - في حديث له للتلفزة الايطالية نقلته جريدة الصباح بتاريخ 1- 9 - 1982

الفلسطينيين أن القوة العسكرية للمنظمة كفيلة وحدها بتحقيق مطامع الفلسطينيين في إنشاء دولة خاصة بهم [4]. ومع ذلك فقد اهتمت المنظمة بالميدان السياسي، فحققت الديبلوماسية الفلسطينية خلال السبعينات الشيء

الكثير، وكانت أنجع حركة تحرير في جميع الأوقات.

صحيح أن الديبلوماسية الفلسطينية لم تستطع أن تسترجع شيئا من أرض فلسطين، ولكنها أقنعت العالم بعدالة القضية الفلسطينية(4). فقد استطاعت أن توظف بنجاح عن طريق النشاط السياسي والثقافي والإعلامي المآسي التي تعرض لها الفلسطينيون والانتصارات التي حققوها ضد الإمبريالية وحلفائها في المنطقة، أن توظف ذلك في انتزاع شعور العطف والإعجاب والإيمان بأن الفلسطينيين هم ايضا لهم حق العيش على أرضهم المسلوبة. ولم تفلح الدعاية الصهيونية رغم قوتها وكثافتها واتساعها وفعاليتها، في الحد من النفوذ السياسي لمنظمة التحرير الذي أصبح مدعوما بتمثيل ديبلوماسي للمنظمة في أغلب العواصم والمنظمات العالمية والأحزاب الجماهيرية في العالم، فما يكاد ينعقد مؤتمر لحزب من الأحزاب الكبرى في العالم، أو مهرجان سياسي أو ثقافي إلا وللمنظمة تمثيل فيه، فضلا عن علاقتها المتينة بالحركات الثورية في العالم. فقد غدت مخيمات المنظمة ومعسكراتها مدارس لتخريج وتدريب الثوار في كل مكان. كما اهتمت المنظمة بالعمل الاجتماعي للجماهير الفلسطينية ضمن فئات اجتماعية ومنظمات كالاتحاد النسائي الفلسطيني واتحاد العمال والأطباء، والمهندسين، والطلبة، والكتاب. وأنشأت مؤسسات استشفائية وتعليمية ومنظمة الهلال الأحمر الفلسطيني وهي منظمات تستقطب الفلسطينيين وتبلور الشعور الوطني لديهم وتجندهم الصالح القضية حيثما كانوا داخل الوطن المحتل أو خارجه، كما أولت القضية الاعلامية اهتماما بالغا فأسست مجموعة من الدوريات وإذاعة، واتخذت لها حصصا في عدة إذاعات، كما أسست وكالة "وفاء" للأنباء.

[4] - من حديث نشرته، المجلة، نقلا عن الصباح 15 - 7 - 1982

ولم تهمل النشاط الثقافي والفكري، فأسست مركزا للدراسات الفلسطينية يعد من أرقى المراكز في العالم العربي، فقد اهتم من جملة ما اهتم بمتابعة الفكر اليهودي وتحليله للتعرف على العدو. كما أنشأت فرقا للتمثيل والمسرح والغناء ومؤسسة للسينما..

وقد قام النشاط الثقافي الفلسطيني بدور كبير للتعريف بالقضية الفلسطينية في العالم وكسب الرأي العام وتأجيج الروح الثورية لدى الجماهير واستثارة وترسيخ الشعور الوطني.

ولقد شهد هذا الشعور الوطني الفلسطيني تأججا حارا داخل الأراضي المحتلة حيث فشل الصهاينة فشلا ذريعا في استيعاب الفلسطينيين وصهرهم ضمن الكيان الصهيوني. فلقد رفض الفلسطينيون كل المشاريع الصهيونية لصهرهم مثل مشروع كامب دافيد، وروابط القرى، واتجهوا مقابل ذلك في إصرار وقوة في اتجاه تأكيد استقلالهم وارتباطهم بمنظمة التحرير الفلسطينية معتبرينها ممثلهم الوحيد.

وأمام نمو الشعور الوطني داخل الأرض المحتلة واشتداد ضغط الجماهير الموالية لمنظمة التحرير، لم تعد تجرؤ شخصية فلسطينية على التصدي لمنظمة التحرير حتى إنك لا تكاد تجد رئيسا لبلدية في الضفة الغربية ليس مواليا لمنظمة التحرير، وكذلك بالنسبة للنقابات والمنظمات الشعبية عامة؛ وعلى سبيل المثال نذكر كلمة عن المهرجان الوطني الثاني للأدب الفلسطيني الذي انعقد أواخر شهر أوت 1982 في الأرض المحتلة حضره عدد كبير من الشخصيات الاجتماعية والفعاليات الوطنية ورؤساء البلديات والنقابات العمالية والمهنية وقادة الرأي وقد استمر المهرجان مدة أربعة أيام وكان شعاره <<الأدب في المعركة>>، وقد اشتمل بالإضافة إلى كلمات الوفود قراءات شعرية لشعراء الأرض المحتلة وأغاني وطنية فلكلورية ومشاهد مسرحية وعلى معرض للكتاب الوطني ووزعت ملصقات دعائية للثورة. وصدر في نهاية المهرجان نداء إلى الكتاب والأدباء في العالم للتضامن مع الشعب الفلسطيني وثورته الوطنية بالوقوف في وجه الهجمة الشرسة ضد الوجود الوطني والقومي للشعب الفلسطيني ([5]). وليست الانتفاضات الجماهيرية الرائعة التي شهدتها الأراضي المحتلة طوال السنة الماضية (1981)، وشاركت فيها أوسع القطاعات الجماهيرية وفي مقدمتها الشباب

[5] - جريدة الصباح، 1- 9 – 1982 .

والنساء ضاربين أمثلة نموذجية للتضحية والفداء وتحدي الأعداء، هاتفين لمنظمة التحرير وللدولة الفلسطينية، ليست إلا مظهرا من مظاهر تجذر وتأجج الروح الوطنية لدى الإنسان الفلسطيني. فلا عجب بعد ذلك أن يهتز العالم كله - عدا العرب - للمجازر التي اقترفتها عناصر التحالف المسيحي اليهودي الأثيم ضد المخيمات الفلسطينية المسالمة في بيروت، فشنّ ملايين العمال في أوربا إضرابات الاحتجاج وقاطعوا شركة الطيران اليهودي، وتحركوا في عشرات ومئات الالاف في اثينا وباريس ولندن منسدلة الطيران اليهودي وتحركوا في مظاهرات صاخبة ضمت عشرات ومئات الآلاف في أثينا وباريس ولندن منددة بوحشية الصهاينة، بينما لم تتحرك في بلد مظاهرات عدا التي قامت في تونس ولكن يبدو أنها لم تكن في مستوى الحدث.

الفصل الثالث

قضية فلسطين والعَمَل العَرَبيّ المُشترك

رغم أن الجامعة العربية قد انبعثت قبل تكوّن إسرائيل (1945)، إلا أنّ أهم القضايا التي طرحت عليها هو المشكل الفلسطيني، وذلك من خلال سلسلة من مؤتمرات القمة كان الباعث الظاهر إليها هو مواجهة التحدي الصهيوني. فكان الملوك والرؤساء يتنادون إلى اللقاء كلما أقدمت إسرائيل على إنجاز جزء من مخططاتها؛ فيجتمعون بدعوى مجابهة التحدي الصهيوني ويفترقون وقد أصدروا بيانات تعلن تأييدهم لقضية فلسطين وتنديدهم بالصهيونية، والدعوة للتضامن العربي على اعتبار أن ذلك هو الحد الأدنى الذي يمكن أن يلتفوا حوله؛ وحتى هذا القدر من الشعارات الفارغة عجزوا في مؤتمر فاس في مرحلته الأولى سنة 1981 أن يجتمعوا حوله، فانفض مجلسهم دون أن يصدروا ولو بيانا.

لقد كان السبب المباشر للقمة الأولى هو اعتزام إسرائيل تحويل مياه نهر الأردن وروافدها لاستغلالها في صحراء «النقب»؛ فدعا عبد الناصر - وقد كانت الحرب الباردة على أشدها بين الأنظمة العربية - الملوك والرؤساء إلى نسيان خلافاتهم والاجتماع لمواجهة التحدي فكان المؤتمر الأول سنة 1964.

وفي المؤتمر الثاني، قرروا الاستمرار في المشروع المضاد لتحويل مياه النهر الذي أقروه في المؤتمر الأول، وأكدوا على ضرورة استكمال القوى العربية.

وفي المؤتمر الثالث بالدار البيضاء سنة 1965 وقع الاتفاق على احترام سيادة كل دولة عربية وعدم التدخل في شؤونها، وأن العدوان على أي منها عدوان على سائرها.

في القضية الفلسطينية قرروا الترحيب بقيام منظمة التحرير واعتبارها ممثلة للشعب الفلسطيني، ووقعوا ميثاق التضامن العربي.

وجاءت القمة الرابعة بالخرطوم في سبتمبر 1967 بعد حوالي أربعة أشهر من العدوان الإسرائيلي، فقررت استعادة الأراضي العربية ولو بالحرب مع إسرائيل. وقد اشتهرت هذه القمة بلاآتها الثلاثة: لا للاعتراف بإسرائيل، لا للتفاوض، لا للصلح معها..

القمة الخامسة بالرباط - ديسمبر 1969 - امتازت هذه القمة. بعدم صدور قرارات عنها[6].

القمة السادسة بالجزائر - نوفمبر 1973 - امتازت هذه القمة التي عقدت بعد حرب رمضان بالبيانات المتعددة التي وجهها المؤتمر إلى عدة هيئات دولية. وقرر المؤتمر أن أهداف المرحلة للنضال العربي هي التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة في عدوان يونيو - جوان 1967 - وعدم التنازل عن أي جزء من هذه الأراضي، وكذلك تحرير القدس وعدم القبول بأي وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة. كما أكد تضامن الدول العربية مع مصر وسوريا والشعب الفلسطيني وتقديم الدعم العربي لها مع الاستمرار في استخدام النفط سلاحا للمعركة، وربط رفع حظر تصدير النقط لأية دولة بالتزامها بتأييد قضية العرب

المؤتمر السابع الرباط - أكتوبر 1974 - قرر عدم قبول أي محاولة لتحقيق تسويات سياسية جزئية، وقد رفع الأردن في هذا المؤتمر تحفظه على قرار قمة الجزائر باعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وفي المؤتمر الثامن بالقاهرة - أكتوبر 1976 - وقع التأكيد على الالتزام القومي بالحفاظ على المقاومة الفلسطينية وتصعيد قدرتها على الصمود، وطالب المؤتمر دول العالم الثالث بإدانة العدوان الإسرائيلي.

وقرر المؤتمر التاسع الذي عقد في أعقاب كامب دافيد في بغداد - نوفمبر 1978- رفض اتفاقية كامب دافيد، ودعم دول المواجهة وصمود الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير، واعتبار القضية الفلسطينية قضية عربية مصيرية وهي جوهر الصراع مع العدو الصهيوني.

وفي قمة تونس - نوفمبر 1979 - وقع التأكيد على مقررات المؤتمر السابق.

وفي قمة عمّان 1980، قرر المؤتمرون الاستمرار في مقاومة اتفاقية كامب دافيد، ورفض أية تسوية لا تتضمن الانسحاب الكامل غير المشروط من جميع الأراضي الفلسطينية

[6] - مجلة "شؤون عربية"، تصدر عن جامعة الدول العربية، ص 191،

والعربية المحتلة، وتمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولة مستقلة، واستخدام الإمكانيات الاستراتيجية العربية لمواجهة الدول التي تدعم الكيان الصهيوني.

وفي مؤتمر القمة الثانية عشرة بفاس 1981، كان مشروع فهد[7] لتسوية القضية الفلسطينية هو الموضوع الرئيسي للاجتماع [8]؛ غير ان الصراع بين دول الرفض وبين الدول الموصوفة بالاعتدال جعل مستحيلا الوصول إلى نقاط التقاء، فانفض المجلس دون أن يتوصل إلى أي قدر من الاتفاق. ومعلوم أن جبهة الرفض والصمود قد تكونت إثر تحول مصر عن الخط الناصري الاشتراكي إلى الخط العربي الرأسمالي الأمريكي إثر تسلم السادات[9] الحكم وتحالفه مع السودان والسعودية، مما جعل الخط الاشتراكي يشعر بالخطر، فكوّن جبهة الرفض والصمود، وكانت ليبيا وسوريا من أهم أعضائها بالإضافة إلى منظمة التحرير واليمن الجنوبي والجزائر.

ولقد كانت قمة فاس درسا لنا - كما يقول أمين الحافظ - لأن فشل قمة فاس في رأيي ليس مشروع الأمير فهد بقدر ما كان انحياز كل دولة عربية إلى هذا المعسكر أو ذاك من المعسكرات الكبرى في العالم [10].

ورغم تعدد القمم، فإنها لم تَخرج حتى الآن [11] عدا الدعم اللفظي وبعض الدعم المالي، بقرار حاسم في أية قضية تهم المصير العربي وخاصة القضية الفلسطينية. فلم تتجاوز الموقف السلبي المتمثل في رفض الاعتراف بإسرائيل، ولكن بدون تبني استعمال القوة لتحرير

---

[7] - الملك **فهد بن عبد العزيز بن** عبد الرحمن آل سعود (16 مارس 1921 – 1 أغسطس 2005)، خامس ملوك المملكة العربية السعودية (1982-2005) وأولهم اتخاذاً للقب خادم الحرمين الشريفين.

[8] - مجلة شؤون عربية، إصدار جامعة الدول العربية، وهي مصدرنا لكل المعلومات المتعلقة بالقمم العربية

[9] - محمد أنور السادات خليفة جمال عبد الناصر في رئاسة مصر، ولد عام 1918 كان أحد قادة ثورة الضباط الأحرار، واقترن اسمه باتفاقية كامب ديفيد التي كانت أول معاهدة سلام توقعها دولة عربية مع إسرائيل، ما أثار عليه سخطا واسعا وأدى إلى مقاطعة مصر عربيا. حكم مصرا من سنة 1970 إلى سنة 1981. توفي بعملية اغتيال عام 1981.

[10] - مجلة شؤون عربية، ص226

[11] - المقصود سنة 1983 التي ألف فيها راشد الغنوشي كتابه هذا

الأرض المغتصبة، ولا استطاعت هذه القمم اتخاذ إجراءات رادعة تهدد مصالح أمريكا حامية إسرائيل والتي اكتفى المؤتمرون بإدانتها. ويبدو أن العرب أعني حكامهم، انتهوا في مؤتمر فاس في مرحلته الثانية إلى التراجع حتى عن هذا الحد الأدنى المتمثل في رفض الاعتراف بإسرائيل وإدانة حُماتها، مما كشف بكل وضوح عن هذا الدور الحقيقي لهذه القمم المتمثل في امتصاص نقمة الجماهير وامتعاضها وحنَقها من خيانات حكامها وتقاعسهم عن التعبير عن إرادتها وتخليهم عن مسؤوليتهم، واعتبار هذه القمم مناسبات لتصفية الخلافات الداخلية بين الحكام حتى لا يذهب التناقض بينهم بمصالحهم جميعا. فكانت قضية فلسطين لا تعدو أن تكون غطاء لتلك المؤتمرات.

يقول ميشيل أبوجودة خلال الندوة التي عقدتها مجلة الجامعة العربية (شؤون عربية) حول مؤتمرات القمة العربية: «إن مؤتمرات القمة كانت باستمرار من أجل القضايا والمشاكل العربية - العربية ولتحاشي الموضوع الأساسي. لقد حضرت كافة مؤتمرات القمة كان هدفها باستمرار من يتغلب منا على الآخر، ومن هو الأكثر حقا من الآخر»، ويضيف: «المؤسف أننا نحن العرب ليس عندنا الهم الإسرائيلي بينما هم لديهم الهم العربي ليلا نهارا»([12]).

[12] - شؤون عربية، 219

الفصل الرابع
مؤتمر فاس

لأهمية هذا المؤتمر نخصه بتحليل مفصل ونبدأ بمقدمة تلقي أضواء على الإطار التاريخي لهذا المؤتمر.

1- مقدمة:

انعقدت هذه القمة إثر الأحداث الدامية التي شهدها لبنان وخاصة في جنوبه وعاصمته بيروت([13]). فقد تحمل الفلسطينيون وحلفاؤهم من الوطنيين اللبنانيين عبء مواجهة جيش يعد من أكثر جيوش العالم تدربا وخبرة وتسلحا بأحدث ما جاءت به ترسانة الأسلحة في أمريكا. ذلك الجيش الذي دمر الجيوش العربية مرات عديدة في اوقات قياسية في سرعتها. لقد تمكن الفلسطينيون وحلفاؤهم بأسلحتهم الخفيفة من الثبات في وجه هذا الجيش طوال ثلاثة أشهر تقريبا ببسالة نادرة. ثبتوا لهجوماته الصاعقة جوا وبرا وبحرا، ولم يتردد خلالها لكسر صمودهم من استعمال حتى الأسلحة الفتاكة المحرمة دوليا فضلا عن أسلوبه المعروف في تدمير كل شيء يقف في طريقه وسحق المدنيين بالجملة كي يثير جوا من الرعب تنهار معه معنويات المقاتلين. يقول عرفات([14]) في حديث لشبكة التليفزيون الإيطالي متحدثا عن حصار بيروت «لقد عشنا في جحيم لمدة 79 يوما ولا سيما بالنسبة للأطفال والنساء، ولم تتدخل أية قوة لوقف ذلك فيما عدا لحمنا ودمنا. إنه في يوم واحد يوم 12 أوت على سبيل المثال، ألقي على بيروت من قصف القنابل وقذائف المدفعية الثقيلة ضعف قوة المتفجرات التي أصيبت بها هيروشيما وناغازاكي. وأمام هذا العدوان الوحشي لم يصدر أي احتجاج حتى

---

[13] - يقصد الكاتب أحداث بيروت والمجازر الرهيبة التي ارتكبها الصهاينة بتواطئ ومشاركة قوات الكتائب المسيحية اللبنانية بقيادة بشير جميل سنة 1982.

[14] - ياسر عرفات: (1929 -2004): هو ثالث رؤساء منظمة التحرير الفلسطينية منذ تأسيسها عام 1964، حيث تولّى رئاسة مجلسها التنفيذي من عام 1969 وحتى وفاته عام 2004، كان القائد العام لحركة فتح «أكبر حركات منظمة التحرير» والتي أسّسها ورفاقه عام 1959. عارض منذ البداية الوجود الإسرائيلي في فلسطين، لكنّه عاد وقبِل قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 242 في أعقاب هزيمة حرب 1967. وقّع في 13 سبتمبر 1993 اتفاق أوسلو مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين. في الأشهر الأخيرة من عام 2004، مرض ياسر عرفات بعد سنتين من حصار للجيش الإسرائيلي له داخل مقره في رام الله، ودخل في غيبوبة. أُعلن عن وفاته فجر يوم الخميس 11 نوفمبر 2004 في مستشفى بيرسي العسكري بباريس عن عمر جاوز 75 عاماً وتدور شبهات حقيقية مفادها كونه مات مسموما.

أمام الأمم المتحدة حيث أغمضت البلدان الأوربية أعينها أمام الواقع. إني آسف أن أقول إنه عار». وختم الزعيم الفلسطيني تصريحه بقوله: «لكنكم ستلاحظون فيما بعد بأننا لسنا الشعب الوحيد الذي سيدفع الثمن، وسنتغير في المستقبل»([15])

وطوال ما يقارب الثلاثة أشهر ظلت الدماء البريئة تشخب في شوارع بيروت ومخيمات اللاجئين، واستمر الصمود الفلسطيني والوطني اللبناني رائعا، والضمير العربي والضمائر الحرة تتعذب وتتمزق دون أن يحرك ذلك شيئا من سواكن الأنظمة؛ فما زادت على غير الإشادة بالصمود الفلسطيني وإظهار التأييد اللفظي والتنديد بسلبية الأنظمة العربية، وكأن الأنظمة العربية شيء آخر غيرهم. لقد كانت استغاثات تشق عنان السماء تستنهض الأشقاء، أولئك الذين تحتل الميزانيات الحربية القسم الأكبر من ميزانياتهم، فلمن تكدس الأسلحة وتجهز الجيوش؟

لقد كانت الأنظمة العربية في حرج شديد من أن يظهر عجزها وتخاذلها عاريا أمام الجماهير، وتظهر تبعية مواقفها لمصالح الدول الكبرى، إذ ليس من الممكن - كما أكد فهد لأحد أصدقائه- قيادة شعوب خفقت قلوبها مع الفلسطينيين المحاصرين والمحافظة في نفس الوقت على صداقة أمريكا. ويضيف الملك: «إنني أصبحت أخشى على حياتي إذا لم تتحرك الولايات المتحدة، فسأضطر للقيام بشيء ضد الخمسمائة شركة العاملة في السعودية، أو أسحب الأموال السعودية من البنوك الأمريكية». ولقد كان ريغن([16]) خلال ذلك مخيرا بين المحافظة على عروش عملائه في العالم العربي أن تهتز كما اهتزت عروش أسلافهم على إثر خياناتهم في عام 1948 فترتج الأرض من تحت أقدامهم كما هدد بذلك قائد الثورة الفلسطينية المحاصر وزملاؤه وما يزيد عن نصف مليون مسلم قد قطعت عنهم كل وسائل العيش تصبحهم وتمسيهم القنابل المحرقة وأزيز المدافع وقصف الطائرات وإخوانهم العرب

---

[15] - نقلا عن جريدة الصباح التونسية بتاريخ 25 – 08 - 1982

[16] - رونالد ريغن :Ronald Reagan (6 فبراير 1911 – 5 يونيو 2004) سياسي وممثل أمريكي راحل شغل منصب الرئيس الأربعين للولايات المتحدة في الفترة من 1981 إلى 1989. وقبل رئاسته كان حاكم ولاية كاليفورنيا الثالث والثلاثين بين عامي 1967 و 1975، بعد مسيرة كممثل في هوليوود ورئيس نقابة ممثلي الشاشة.https://artsandculture.google.com/entity/m06c0j?hl=ar

لا يحركون ساكنا. كان ريغن متحيرا بين وضعية أتباعه العرب المهددة، وبين مصالح أمريكا والتزاماتها مع حليفتها إسرائيل. وكان أتباعه العرب كلما استشعروا الخطر على مصيرهم مما يحدث في بيروت، جأروا بالشكوى له يناشدونه التدخل للضغط على إسرائيل وحملها على الترفق في تحقيق أهدافها. فضاق بهم ذرعا والتفت إليهم زاجرا: «من فضلكم لا تعقدوا لنا مهمتنا. نحن مشغولون بهذه القضية وعليكم أن تثقوا بنا، إننا نقيّم أصدقاءنا بحسب الطريقة التي يتعاملون بها مع هذه القضية. انظروا إلى زملائكم رؤساء بقية الدول العربية، إنهم يتصرفون بطريقة مسؤولة، فلا يقولون لنا شيئا وعليكم أن تفعلوا مثلهم»([17]).

وطوال الثمانين يوما من الحصار والتدمير الإسرائيلي لبيروت، لم يتلق الفلسطينيون عونا من أحد وحتى جيوش حافظ الأسد التي تعمل في لبنان باسم قوة الردع العربية - التي لاذت هذه المرة بالصمت الذليل والحياد الجبان واستكانت لم تنجح إلا في ردع الفلسطينيين بكل قسوة سنة 1976 – لاذت هذه المرة بالصمت الذليل والحياد الجبان، واستكانت لأول نداء لوقف القتال دعت إليه إسرائيل دون أن تلتزم به لتتفرغ بعد ذلك للفلسطينيين مستعينة بخونة المسيحيين، بل تجاوزت قوة الردع دور الحياد إلى مراقبة تحركات الفلسطينيين في البقاع ومنعهم من القيام بأي عمل فدائي ضد القوات الإسرائيلية، بل بلغ الأمر حد التآمر معها للإيقاع بالفلسطينيين([18]). ولم تستطع الأنظمة العربية، بل لم ترغب حتى في الاجتماع طوال الأيام الثمانين الدامية للحصار فكانت تكتفي بالقيام بمشهد مسرحية تشغل بها الرأي العام، فيطالب هذا النظام بالاجتماع ويؤيده البعض فيعترض الآخر، ثم يقوم آخر في مكان ثان ليدعو إلى نفس الدعوة ولكن لا يكتمل النصاب. وهكذا ظلت المماطلة طوال تلك المدة ليترك الوقت الكافي وزيادة لشارون([19]) ينجز أهدافه دون أي

---

[17] - مجلة جون أفريك، العدد بتاريخ 21- 7 -1982

[18] - انظر شهادات المتطوعين التونسيين التي نقلتها جريدة "المستقبل".

[19] - شارون : **أرئيل شارون** 26فبراير 11 - 1928 يناير2014 ، رئيس وزراء إسرائيل، والحكومة الإسرائيلية الثلاثون .ولد في قرية كفار ملال بفلسطين أيام الانتداب البريطاني .كان اسم عائلته الأصلي شاينرمان وكان والداه من اليهود الأشكناز الذين هاجروا من شرقي أوروبا .إذ ولد أبوه في بولندا بينما ولدت أمه في روسيا. يعدّ شارون من السياسيين والعسكريين المخضرمين على الساحة الإسرائيلية .ورئيس الوزراء الحادي عشر للحكومة الإسرائيلية.. وفي سنة 2004 بادر شارون بخطة فك الارتباط الأحادية الإسرائيلية من قطاع غزة. في

ارتباك، ولحلفائه الأمريكان يفكرون على مهل في إخراج مسرحية جديدة، ونسج خيوط مؤامرة أخرى على الأمة بواسطة مبعوثهم في المنطقة فيليب حبيب» الذي ظلت الأضواء تلاحقه والآمال معلقة بتحركاته، وكانت جهوده منصبة على هدف محدد هو إقناع الفلسطينيين بضرورة مغادرة بيروت، والتفاوض مع البلدان العربية لإقناعها بقبول اللاجئين. وكلما اصطدم بمقاومة فلسطينية تدخل شارون ليحرك الحوار في الاتجاه الذي يريده، وكلما لاقى مع نظام عربي صعوبة أو ممانعة في قبول الفلسطينيين المقاتلين كلاجئين منزوعي السلاح، تدخلت أمريكا بضغوطها والسعودية ببترودولاراتها تغري وتدفع الرشاوي. فدفعت ملايين الدولارات إلى عدد من الأنظمة منهم النظام السوري - لتفتح أبوابها للفلسطينيين، كما تعهدت بدفع أثمان تذاكر نقل الفلسطينيين على بواخر يتولى الأمريكان تأجيرها ([20]) وتسخير أساطيلهم البحرية لحمايتها بمشاركة فرنسا وإيطاليا.

وهكذا تم لإسرائيل والأنظمة العربية والامبريالية العالمية اقتلاع الفلسطينيين من بيروت التي كانت خلال ما يزيد عن عشر سنوات بمثابة القلعة الحصينة والدولة المستقلة، وأرسوا فيها مؤسسات لا تتمتع بمثلها أي دولة عربية تلك التي لا تزال شؤونها تدار بواسطة أشخاص لا بواسطة مؤسسات. ونجح المبعوث الأمريكي في خداع الفلسطينيين مستغلا ظروفهم القاسية فقدم لهم من الضمانات ما اطمأنوا معه على مصير الجماهير العزل في المخيمات التي تركوها بلا حام، فهي حسب التعهد الامريكي في حماية قوة السلام المتعددة الجنسيات

يناير 2006 دخل في الحالة الخضرية الدائمة لأكثر من ثماني سنوات، بعد جلطة دماغية. توفي في 11 يناير 2014 عن عمر يناهز 86 عاماً.. انخرط شارون في صفوف منظمة أو (عصابات) الهاجاناه عام 1942 وكان عمره آنذاك 14 سنة. وانتقل للعمل في الجيش الإسرائيلي عقب تأسيس دولة إسرائيل.. اتهم شارون بالمسؤولية عن جرائم عديدة منها:

مجزرة قبية1953 م. قتل وتعذيب الأسرى المصريين1967 م.اجتياح بيروت.مجزرة صبرا وشاتيلا. استفزاز مشاعر المسلمين باقتحامه للمسجد الأقصى المبارك سنة 2000م، واندلاع انتفاضة الأقصى. مذبحة جنين2002 م.عملية السور الواقي والكثير من عمليات الاغتيال ضدَّ أفراد المقاومة الفلسطينية وعلى رأسهم اغتيال الشيخ أحمد ياسين.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[20] - نشرت ذلك جريدة "LE TEMPS " في أحد أعدادها خلال حصار بيروت.

إلى أن يتسلم الجيش اللبناني تلك المهمة؛ ولكن تبين بعد ذلك أن الضمانات الأمريكية تعتمد على ضمانات إسرائيلية، ومتى كان لهؤلاء وأولئك عهد أو ميثاق؟

ولقد أحيط رحيل الفدائيين بدعاية عربية مكثفة للإشادة ببطولاتهم، وتوظيف تلك البطولات في تزكية الأنظمة العربية التي اقتبلتهم، وإبراز ضخامة الجهود التي تبذلها تلك الأنظمة في خدمة القضية الفلسطينية مخصصة لهم استقبالات رسمية وشعبية ومعاملة قيادتهم معاملة رؤساء الدول من حيث بروتوكولات الاستقبال والإقامة في قصور، كل ذلك من أجل أن تقنع الأنظمة العربية نفسها بل جماهيرها بأنها قامت باقصى واجبها نحو القضية الفلسطينية.

2- قمة فاس (الأحداث)

خلال الثمانين يوما الدامية لحصار بيروت لم تتفق الأنظمة العربية على اجتماع للقمة، ولكن ما إن تم رحيل آخر فدائي، وتحقق الهدف الأول من الغزو الاسرائيلي وهو تدمير منظمة التحرير أو تشتيتها في الآفاق، حتى تنادى الملوك والرؤساء إلى اللقاء، فما تخلف منهم غير القذافي[21]. اجتمعوا من جديد في فاس وكان الموضوع الرئيسي حسب الظاهر هو القضية اللبنانية والفلسطينية. وانطلق المؤتمر رسميا من مشروعين هما مشروع بورقية[22] الداعي

[21] - القذافي: العقيد معمر القذافي: (1942 –2011) رئيس ليبيا، قتل في أحداث ثورة 17 فبراير الليبية التي ذهبت بجماهيريته وحكمه المستبد أدراج الرياح.

[22] - الحبيب بورقيبة: (3 أغسطس 1903 – 6 أبريل 2000)، التحق بمعهد كارنو الفرنسي وحصل فيه على الثانوية العامة، وفي عام 1924 سافر إلى فرنسا للدراسة في كلية الحقوق والعلوم السياسية وحصل عام 1927 على الإجازة (البكالوريوس)، وعاد بعدها إلى تونس ليشتغل في سلك المحاماة. دخل العمل السياسي عام 1933 من بوابة الحزب الحرّ الدستوري التونسي الذي كان يقوده عبد العزيز الثعالبي، لكنه سرعان ما تركه وأسس مع آخرين: الحزب الحر الدستوري الجديد في 2 مارس/آذار 1934. وقع مع فرنسا اتفاقية الاستقلال الداخلي التي عارضها كثير من التونسيين وخاصة من المجاهدين حملة السلاح ضد فرنسا، التي تلاها توقيع وثيقة الاستقلال التام في 20مارس/آذار 1956، وبعد ثلاثة أشهر ألغى الملكية بخلع الملك محمد الأمين باي وإعلان تونس دولة جمهورية في 25 يوليو/تموز 1957، واختير أول رئيس لها. لم يكن له توجه فكري واضح، والثابت عنده هو التمسك بالسلطة والكرسي، إذ اتبع النهج الاشتراكي في أول الستينيات وخاصة في تدبير القطاع الفلاحي، وغيَّره في آخرها إلى الليبرالية اقتصاديا والاستبداد المطلق سياسيا. انقلب عليه رئيس

للانطلاق من الشرعية الدولية، أي قرار التقسيم لسنة 1947 القاضي بتكوين دولتين في فلسطين يهودية وعربية وعودة اللاجئين ووضع حد لحالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل [23] ومشروع فهد الذي ينص على

1- انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها بعد 1967 بما في ذلك القسم العربي من القدس
2- إزالة كل المستعمرات التي أنشئت في الأرض المحتلة بعد 1967
3- ضمان حرية العبادة لكل الأديان في الأماكن المقدسة
4- الاعتراف بحق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم والتعويض لكل من لا يرغب في العودة.
5- وضع الضفة الغربية وغزة تحت وصاية الأمم المتحدة خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر.
6- تكوين دولة فلسطينية عاصمتها القدس.
7- حق كل دول المنطقة في العيش في سلام [24]

اما مخطط ريغن، فرغم أنه لم يكن مدرجا بشكل رسمي في جدول أعمال المؤتمر، إلا أنه فيما يبدو كان هو المحور الأساسي للمؤتمر حتى لكأن المؤتمر إنما انعقد لإضفاء نوع من الشرعية العربية على المخطط الأمريكي. يقول السيد "ابن يحمد: [25]": «سارع العرب للتباحث حول مشروع ريغن مع أن صاحب المشروع طرد الفلسطينيين من بيروت، ولا يقبل الحديث عن المنظمة الفلسطينية والدولة الفلسطينية، إن العرب يتعلقون بأي خيط» [26]. ولقد سبق المؤتمر اتصالات أمريكية مكثفة بالأنظمة العربية لإطلاعها على مخطط ريغن بما

وزرائه زين العابدين بن علي، وعزله بعد مرضه وكبر سنه، ووضعه قيد الإقامة الجبرية إلى أن وافته المنية. - https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/9/17/% بتصرف.

[23] - "جون أفريك"، 22 – 09 - 1982

[24] - المصدر السابق نفسه

[25] - مؤسس ورئيس تحرير مجلة "جون افريك"

[26] - "جون أفريك"، 15 09، 1982

في ذلك النظام السوري ومنظمة التحرير عن طريق مجموعة من الوسائط منهم فيليب حبيب والوزير الأول التونسي.

وقام مساعد كاتب الدولة لشؤون الشرق الأوسط نيكولا فليوت بزيارة سرية إلى الأردن للحصول على موافقة الملك حسين([27]) على مخطط ريغن. ولقد جاءت زيارته وهو الصديق الشخصي لحسين، في الوقت الذي كان الفدائيون يغادرون بيروت ([28]) ومن ثم لم يكن إعلان امريكا لمخططها عشية اجتماع قمة فاس مفاجئا للمؤتمرين.

وينطلق مخطط ريغن من اتفاقات المخيم التي تنص على حق الفلسطينيين في الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة عدا القدس التي أرجئ وضعها للتفاوض. ويتطور هذا الحكم الذاتي خلال خمس سنوات إلى اتحاد كونفدرالي مع الأردن.

ولقد اعتبر كثير من المشاركين في مؤتمر فاس مشروع ريغن خطوة إيجابية، بل ذهب البعض مثل الحسن الثاني([29]) إلى حد التنويه به قائلا: «إنه لأول مرة يضع رئيس أمريكاني ثقله في الميزان ليطالب بعودة الضفة الغربية وغزة والقدس، فهل ينبغي تشجيعه ام لا؟ أليس من اللائق أن نشكره على ذلك قائلين له هذا حسن، ولكنه غير كاف». وأضاف «أمير المؤمنين»: «لنجرب مدة 6 أشهر قبول هذا المشروع، إنني أخشى أنه إذا فاتتنا هذه الفرصة

---

[27] - الحسين بن طلال بن عبد الله الأول الهاشمي (14 نوفمبر 1935 - 7 فبراير 1999)، ثالث ملوك المملكة الأردنية الهاشمية. تولى الحكم في الحادي عشر من أغسطس عام 1952 وحتى وفاته في السابع من فبراير عام 1999. وبعد توقيع اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين والكيان الإسرائيلي، وفي عام 1994 م، أصبح الحسين الزعيم العربي الثاني، بعد أنور السادات الذي وقع اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية عام 1978 م، الذي يوقع على معاهدة سلام مع الكيان الإسرائيلي، والتي اشتهرت باسم معاهدة وادي عربة، رغم الرفض الشعبي العارم لها. https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[28] - "جون أفريك"، 15 09، 1982

[29] - ولد الحسن الثاني بن محمد بن يوسف بن الحسن يوم 9 يوليو/تموز 1929، في الرباط، للأسرة العلوية التي حكمت المغرب منذ أكثر من أربعة قرون.. تولى عرش المملكة المغربية منذ مارس/آذار 1961 إلى 23 يوليو/تموز 1999.

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/11/9/%

فلن تعود أبدا ... إن كل الحاضرين هنا هم متفقون على إعطاء أهمية خاصة لاقتراحات الرئيس ريغن»، فاعترض الأسد([30]) بأن ذلك لم يحصل، وأن له تحفظات على المشروع كله. فتعالت الضجة داخل القاعة وما عاد يسمع غير أصوات الاحتجاج والسخرية، لنبحث عن حل، لنبحث عن حل في شكل استنكاري ساخر، أي أنه لا حل غير هذا. أما محمد مزالي([31])، فقد اعتبر أن مقترحات ريغن تمثّل تحولا في الموقف الأمريكي ([32]) مما يؤكد أن موضوع المؤتمر لم يكن في الحقيقة مشروع فهد وبورقيبة وإنما مشروع ريغن على وجه التدقيق.

وانتهى مؤتمر فاس يوم الخميس 9 - 9 - 1982 بإقرار مشروع فهد مع إضافة بسيطة تتعلق بالتأكيد على الشرعية الدولية (جوهر المشروع البورقيبي)، وعلى التأكيد على دور منظمة التحرير باعتبارها ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني، وضمان حق كل دول المنطقة في العيش في سلام بما في ذلك الدولة الفلسطينية.

---

[30] - حافظ الأسد سياسي وعسكري ترأس سوريا من 1971 إلى 2000، بدأ مسيرته في حزب البعث عام 1946، وأصبح قائدا لسلاح الجو عام 1963، ثم وزيرا للدفاع بعد انقلاب عام 1966، قاد انقلابا ضد صلاح جديد عام 1970 واستولى على الحكم، توفي عام 2000 وخلفه ابنه بشار الأسد. https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/10/20/%

[31] - محمد مزالي :رئيس وزراء تونس الأسبق ولد محمد مزالي في المنستير عام 1925..

تخرج في يونيو عام 47 من المدرسة الصادقية، ثم حصل على الليسانس في الفلسفة من جامعة (السوربون)، وتخرج منها

مارس التدريس ابتداء من العام 1951 وحتى العام 1957 حيث عمل أستاذا في الجامعة الزيتونية، وأستاذا في المدرسة الخلدونية.

في العام 1956 أصبح مديرا لديوان وزير التربية والتعليم حتى العام 1958. كلف في 23 من أبريل عام 1980 برئاسة الحكومة التونسية، وظل رئيسا لوزراء تونس إلى 8 من يوليو عام 1986 حيث أقيل من منصبه، ثم مورست عليه بعض الضغوط التي اضطرته للفرار هاربا من تونس عبر الصحراء الجزائرية في 31 من سبتمبر عام 1986 حيث يعيش من ذلك الوقت لاجئا سياسيا ومنفيا في أوروبا.

توفي يوم الأربعاء 23 يونيو 2010، رئيس الوزراء التونسي الأسبق محمد مزالي عن 85 عاما، بعد جراحة أجريت له في أحد مستشفيات باريس. https://ahmedmansour.com/%

[32] - "جون أفريك"، 15 09، 1982

3- نتائج مؤتمر فاس: عرض وتقييم وتحليل

أُحيطت مقررات فاس بدعاية عربية وعالمية مكثفة، فاعتبرت انتصارا رائعا للإرادة العربية، وخروجا بالسياسة العربية من المرحلة العاطفية والمثالية إلى مرحلة العقل والواقعية والرشد. كما اعتبرته الحكومات الغربية والشرقية موقفا إيجابيا وعلامة تطور ايجابي في الموقف العربي عدا ليبيا وإيران وإسرائيل التي تهجمت على مقررات المؤتمر بسبب انطلاقها من مواقف جذرية من القضية لا تقبل المساومة.

وقبل أن نورد عرضا لمختلف المواقف بشيء من التفصيل، نلقي بعض الأضواء على الظروف التاريخية لنشأة الفكرة التي قام عليها المؤتمر وهي الحل السلمي للنزاع العربي الإسرائيلي، والاعتراف المتبادل بين العرب وإسرائيل، متتبعين تطور هذه الفكرة حتى هذا الطور الذي غدت فيه موقفا رسميا للحكومات العربية.

معلوم أن مؤتمر فاس انطلق رسميا من مشروعي فهد وبورقيبة: ومعلوم أن المشروعين كانا قد رفضا من طرف عامة الأنظمة العربية. أما الأول الموسوم بمشروع بورقيبة، فهو في الحقيقة ليس بمشروع جديد، وإنما هو دعوة للرجوع إلى القرار الأممي لسنة 1947 القاضي بتقسيم فلسطين بين أصحابها الشرعيين وبين المالك الجديد اغتصابا، ودعوة المالك الشرعي إلى الاعتراف للمغتصب بشرعية اغتصابه، والتعايش بينهما في سلام. ولقد أجمع حكام العرب وقتها على رفض ذلك القرار المكرس للاغتصاب وذلك تحت ضغط الجماهير التي ثارت ثورة عارمة ضده، وانطلقت من كل أطراف العالم العربي الإسلامي إلى فلسطين تطلب الشهادة وتطهر الأرض المقدسة من الرجس اليهودي. ولم تجد الأنظمة بدا من إرسال جيوشها لمقاتلة العصابات الصهيونية. ولقد كاد الجنين اليهودي الصليبي أن يُجهض تحت ضربات المقاتلين وضغط الجماهير لولا تآمر الحكام العرب وخياناتهم. فاستخدمت الجيوش الرسمية لضرب ومحاصرة المتطوعين وقمع التحركات الجماهيرية. واستُعملت على الجيوش قياداتٌ خائنة، وسُلمت لها أسلحة زائفة، مما أسقط "أرض الميعاد" لقمة سائغة في أيدي العصابات اليهودية. ولم تجد الجماهير متنفسا لغضبها إلا بالثورة على أولئك الخونة، فقُتل ملك الأردن عبد الله جد الملك حسين، وأطيح بالنظام السوري والعراقي والمصري، ونشأت أحزاب وأنظمة ترفض مشروع التقسيم وترفع لواء تحرير فلسطين.

وفي نفس السنة التي انطلقت فيها أول رصاصة فلسطينية ضد الكيان الصهيوني من طرف ثلة من الفتيان مع ياسر عرفات، انطلقت دعوة بورقيبة سنة 1965 في خطاب له بأريحا من الأرض المحتلة اليوم، يدعو فيه العرب إلى الاعتراف بإسرائيل عن طريق قبول القرار الأممي الذي كانوا قد رفضوه سنة 1947 والقاضي بتكوين دولتين في فلسطين عربية وإسرائيلية. فتعالت أصوات الاحتجاج من كل مكان في الوطن العربي، وأجمع العرب حكاما وجماهير على رفض قرار التقسيم مرة أخرى. ولم يتردد بورقيبة أمام الضجة التي قامت في وجهه عن الكشف والتصريح بأن ما دعا إليه هو محل اتفاق بينه وبين الزعماء العرب ومنهم عبد الناصر، فكيف يتنكرون له بعد ذلك؟ وتحت ضغط الجماهير التي اشتد غضبها على هذه الدعوة، اضطر أكثر من نظام في المشرق أن يتبرأ من هذه الدعوة ويقطع علاقاته بالنظام التونسي، واحتلت وأحرقت سفارات لتونس من طرف الجماهير، واستقر الراي العام والرسمي على اعتبار تلك الدعوة خيانة واستسلاما للعدو. فما الذي حدث بعد ذلك عبر هذه السبع عشرة سنة؟

لقد فشلت الأحزاب والأنظمة الرافضة أن تقدم أي شيء للجماهير عدا الإرهاب والفقر والهزائم المتكررة، فسقطت كل الشعارات، وسادت المرارة وخيبة الأمل. ومقابل ذلك، اشتدت قبضة الاستعمار الجديد، واستقطاب الأنظمة إلى الشرق والغرب، ونجحت إسرائيل إلى حد بعيد في توظيف الإمكانات الغربية، واستيعاب التجربة الغربية في بناء مجتمع حديث تحكمه مؤسسات عصرية يتمتع فيها الإسرائيلي بقدر من الحرية والكرامة لا نظير لهما إلا في الغرب.

وبقدر تزايد الإرهاب والإفلاس في العالم العربي، بقدر ما زاد اعتماده على الغرب، وتحكم هذا الأخير فيه وانتشار نزعة واسعة من اليأس وخيبة الأمل، إلى جانب مفعول الحرب النفسية في تخدير الإنسان العربي وقلب المفاهيم لديه بما يشبه عمليات غسل المخ. بالإضافة إلى فشل الفكر الثوري والأحزاب «الثورية» في تفجير طاقات الجماهير، إذ تَركت الجماهيرَ جانبا وتحالفت مع الانقلابيين العسكريين.

والاسلاميون أنفسهم، نتيجة ظروف داخلية وخارجية عنهم، فشلوا في تعبئة الجماهير تعبئة ثورية عقائدية واجتماعية من أجل بناء مجتمع إسلامي ديمقراطي وعادل. فلقد ظل الفكر الإسلامي رغم تطلعاته التجديدية، مشبعا بعناصر انحطاطية تمنعه من تفجير

الطاقات الثورية في الإسلام، وتحول بينه وبين استيعاب الواقع وتحليله والسيطرة عليه. وثمة عاملٌ آخر هو الحرب: لقد واجه المجتمع اليهودي المستوعب لأحدث التقنيات الغربية والتجارب الديمقراطية، مجتمعات عربية منحلة غارقة في الانحطاط، على رأسها حكام سذج أو عملاء، فكانوا فريسة سهلة لأعدائهم. ومعلوم أن خطر الهزائم العسكرية المتكررة يتجاوز الخسائر المادية من سلاح وأرض وجنود إلى ما هو أخطر، أي إصابة المهزوم بالشلل الإرادي والعقلي، وانحلال الشخصية إلى حد انعدام ثقته في قدرته على القيام بأي عمل جدي وإعجابه الشديد بخصمه.

كل ذلك عوامل تلقي أضواء على المسار التاريخي العربي الحديث الذي قاد إلى مؤتمر فاس وإلى اجتماع الأنظمة على إقرار ما كانت قد رفضته منذ أقل من عشرين سنة.. حتى غدت فكرة ازالة اسرائيل اليوم ليس لدى الحكام فحسب، بل حتى لدى فئات واسعة من المثقفين العرب - خاصة - ضربا من الأحلام والطوباوية.

لقد أعيد الاعتبار في فاس لا لدعوة بورقيبة، بل لبورقيبة ذاته، فأضفت عليه الدعاية العربية هالة من الحكمة المبكرة والعبقرية الفذة.

اما المشروع الثاني الذي انطلقت منه قمة فاس، فمشروع فهد الذي كان قد قدمه منذ أقل من سنة (نوفمبر 1981) في مؤتمر فاس، ولكنه لم يستطع أن يحظى بإجماع أو بغالبية المؤتمرين، وكان الطرف الذي رفض المشروع بشدة هو «جبهة الرفض» أو «الصمود والتصدي» وكانت يومئذ لا تزال قائمة، وذات شيء من الفعالية والجماهيرية لما تمثله من دور الرفض للحلول الاستسلامية والمخططات الأمريكية. وكانت تزايد على جبهة «المعتدلين» بقيادة أمراء البترول ومن لف لفهم ممن هم دائرون في الفلك الأمريكي. فما الذي حدث ولما ينقضي سنة على الاجتماع الأول بفاس حيث بلغ الاحتدام أشده بين الرافضين والمعتدلين، وانفضوا على غير قرار حتى عاد نفس الأشخاص تقريبا ليجتمعوا على ما كانوا قد رفضوه منذ تسعة أشهر؟

لقد دعاهم يومها الحسن الثاني وهم يحزمون حقائبهم إلى وقفة تأمل وخلوة نفسية يسترجع فيها الفكر العربي صفاءه وإشعاعه قبل أن تصدر عنه قرارات غير واقعية. فهل هي

دعوة الملك الحسن الثاني في المرحلة الأولى من فاس إلى التعقل؟ أم هي دعوة بورقيبة في افتتاح المرحلة الثانية إلى تجنب العاطفة والمواقف المتطرفة ([33]) هي التي أدت إلى هذا التحول خلال تسعة أشهر؟

إنه ليس هذا ولا ذاك، وإنما هي بيروت، بل قل آلة الحرب الإسرائيلية هي التي حسمت المعركة - ولو إلى حين - لصالح ما يسمى بجناح المعتدلين أو الجناح الأمريكي، ضد ما يسمى بجبهة الرفض أو الموالين للاتحاد السوفياتي. لقد قلبت آلة الحرب الإسرائيلية ميزان القوى في المنطقة كلها لفائدة المعسكر الأمريكي في العالم العربي، ولم يكن هذا التحول فجائيا، فلقد بدأ منذ أن تولت وحدات موشي دايان([34]) في 1967 تحطيم الجيش المصري في سيناء الذي كان ينعت بأقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط، موجهة بذلك ضربة قاسية إلى التيار الاشتراكي والنفوذ الروسي الذي ظل منذ ذلك التاريخ ولأسباب أخرى يتزحزح على الصعيد العربي وعلى كل صعيد لفائدة النفوذ الأمريكي وعملائه الآخذ في الاتساع.

ولقد عبر عن نفسه في عدة أشكال ومظاهر، منها بروز المخططات الأمريكية في المنطقة لأول مرة سنة 1968 (مشروع روجرز)([35])، ووضع العرب يومها على السكة التي قادت إلى

---

[33] - جريدة بلادي، 13 – 11 1982

[34] - موشي دايان: ولد في20 مايو/آيار 1915 سياسي وعسكري إسرائيلي شارك في معظم الحروب العربية الإسرائيلية. بدأ حياته عضوا في الهاغاناه قبل إنشاء إسرائيل، وقاد الجيش الإسرائيلي عام 1956 إبان العدوان الثلاثي على مصر، ثم ذاع صيته بعد هزيمة العرب في حرب 1967 إذ كان وقتها وزيرا للدفاع.. اختاره رئيس الوزراء مناحيم بيغن عام 1977 وزيرا للخارجية، وحقق لإسرائيل انتصارات دبلوماسية لا تقل أثرا عن الانتصارات العسكرية، فبعد عام واحد من توليه المنصب الجديد دخل في مفاوضات مباشرة مع إدارة الرئيس المصري السابق محمد أنور السادات في كامب ديفد، انتهت بالتوقيع على أول اتفاقية للسلام بين إسرائيل ودولة عربية عام 1979.. توفي بعد إصابته بسرطان في القولون في 16 أكتوبر/تشرين الأول 1981 عن عمر يناهز 74 عاما.

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/11/6/

[35] - مبادرة روجرز 1970:عرَض وزيرُ الخارجية الأمريكيةِ وليام رُوجرز مشروعَه في 9 ديسمبر، وتألَّفَ مشروعُ رُوجرز في دِيباجة مُوجَزة تدْعو إلى عقْدِ اتفاقٍ نهائيّ ملزِمٍ بصورةٍ مُتبادلة بين مصرَ وإسرائيلَ، يَجري التفاوضُ بشَأْنه تحت رِعاية السَّفير السويديّ "غونار يارنغ" الممثِّل الشَّخصي للأمين العامّ للأُمَم المتحِدة، ويَستنِد هذا

مخيم داوود وإلى مؤتمر فاس حتى إن السادات كان كثيرا ما يردد أن 90 في المائة من أوراق قضية الشرق الأوسط هي بيد الأمريكان. وكاد الاعتقاد يسود العالم العربي بصحة ما صرحت به الأوساط المصرية تعليقا على مشروع ريغن: «ان مفتاح كل تقدم يكمن في عزم الولايات المتحدة على استعمال ما يكفي من الضغط على إسرائيل لحمل حكومة بيغن للتخلي عن التصلب الذي أظهرته تجاه مخطط الرئيس ريغن» ([36]). وقد تعزز النفوذ الأمريكي بثروة النفط التي حدثت في السبعينات، وتزايد الجشع الرأسمالي على تفقير الأنظمة الدائرة في فلكه والتي تَزايدَ ارتباطها المصيري به سواء المالكة للنفط منها تلك التي انصبت في قصورها أطنان من البترودولار زادت في ضعفها وارتباطها بأمريكا من أجل حماية هذه الثروة من الانتفاضات الداخلية والتهديدات الخارجية. ذلك أن «القوة ليست بنت الغنى ولكنها بنت الاستقلال. إن الغنى ليس إلا شرا إذا زاد من خطورة التبعية، وهذه هي حالة دول البترول دون استثناء. وهذا ما يغير مواقف المسؤولين العرب في الشرق الأوسط، إنه الغنى الذي لم يكن له من نتيجة عليهم الا الرعب. لقد غدوا محكومين بالرعب من أن يفقدوا دفعة واحدة ما هبط عليهم من ثروات دفعة واحدة من السماء أو صعد من الأرض. ولأنهم خائفون،

الاتِّفاق إلى نِّقاط عشْر، أهمها أن تقومُ مصرُ وإسرائيلُ بتَحديد الجدْول الزَّمني والإجراءات المتعلِّقة بانسحاب القواتِ المسلَّحة الإسرائيلية مِن أراضي جُمهورية مصرَ العربيَّة التي احتُلَّت في النِّزاع عامَ 1967م. وانتهاء حالةُ الحرب بين مِصرَ وإسرائيلَ وتُقام حالةٌ رَسميةٌ للسلامِ، ويُوافِق الجانبانِ على أن مَضيق تِيران ممرٌّ مائيٌّ دَولي، وعلى أنَّ مَبدأ حُرِّية الملاحة يسْري على جميعِ الدُّول بما فيها إسرائيلُ، وفي الجانب الأردني: تَحسِم إسرائيلُ والأردنُّ معًا مسألةَ السَّيطرة على القدسِ، مع الاعترافِ ببَقاء المدينة مُوحَّدة، وحُرِّية التنقُّل في جَميع أجزائها، ويَتقاسَمُ البَلَدانِ المسؤولياتِ المدنيةَ والاقتصادية لحكومةِ المدينة. ويَشترِك الأردنُّ وإسرائيلُ في العمل على إتمامِ الإجراءاتِ النهائية لإدارةِ قِطاع غَزَّة، ويُعطى اللَّاجِئون الفِلَسطينيون (من حرب 48) الخيارَ بين العودةِ إلى إسرائيلَ، أو الإقامةِ الدائمة في الدُّول العربيَّة مع تَعويضاتٍ إسرائيليةٍ. وانتهَت مُبادرةُ رُوجرز -كأوَّل مُبادَرةٍ للسلامِ بين العربِ وإسرائيل خلالَ عهْدِ إدارة نيكسون- إلى الفشَلِ؛ فقد رفَض الاتِّحاد السُّوفيتي مشروعَ رُوجرز بسَببِ عَدَم تَوازُنه وانحيازِه لإسرائيلَ، ورفَضَتْه إسرائيلُ! أما الفِلَسطينيون فقد رفَضوا مشروعَ رُوجرز؛ لأنَّه يتنكَّر لحُقوقِهم الوطنية، واعتَبَروه مُؤامرةً ضدَّ الكفاحِ الفِلَسطيني المسلَّح. أما الموقفُ المصري فعلى الرَّغم مِن تَرحيب عبد الناصرِ بها وإيقافِه لحرْب الاستنزافِ، إلا أن مُبادَرة روجرز رُفِضَت في الأخير؛ لأنها لم تَشتمِلْ على حلٍّ شامل لجميعِ المناطقِ العربيَّة المحتلَّة.

[36] - جريدة الصباح، 12 – 09 - 1982

فليسوا بأقوياء، ولأنهم ليسوا أقوياء فهم خائفون، إنها الدائرة اللعينة التي أغلقت حولهم»([37]).

والذي نمّى مخاوفهم على هذه الثروة وبالتالي ضعفهم وبالتالي تهالكهم على الاستسلام لأمريكا اندلاع الثورة الإيرانية وخاصة بعد نجاحها في إفشال المخطط الأمريكي في الإجهاز عليها الذي نفذه صدام حسين([38]) بتمويل خليجي، ثم نقل إيران الحرب داخل العراق مما أصاب بلاد الخليج الدائرة في فلك الأمريكان عامة بحالة من الهلع من الخميني ومن كل تحرك إسلامي، ودفعها بقوة إلى أحضان الأمريكان، بل إلى الارتماء تحت أقدامهم، وغدوا مستسلمين لطلبات أمريكا وكلهم خشية من غضب ريغن - لا سمح الله ! - «إن الغربيين والأفارقة غير العرب يظنون أن العرب إنما يخافون إسرائيل. وليس ذلك صحيحا أبدا. إن المسؤولين العرب ليسوا خائفين من إسرائيل لأنهم يعلمون أنهم ليسوا هم موضع بحث من طرف شارون وبيغين. إن اسرائيل تبحث عن الفلسطينيين. إن اسرائيل تمثل في المنطقة ذراع أمريكا وأداتها، وهي بالتالي ما كان لها أن تهدد مسؤولا عربيا هو زبون لأمريكا، أو تحت حمايتها. إن المسؤولين العرب ليس لهم أدنى خوف إلا من شخصين: إنهم يخافون من الخميني. كما كان أسلافهم يخشون عبد الناصر في الستينات، ولنفس السبب يخافون الخميني لأنه مثل عبد الناصر يهدد أنظمتهم من الداخل. وهم أيضا يخافون ريغن من أن يسحب عنهم حمايته أو يعوضهم ولن يحرك الشعب ساكنا لحمايتهم»([39]).

---

[37] - افتتاحية ابن يحمد : 21 – 07 – 1982 في "جون أفريك".

[38] - صدام حسين المجيد (28 نيسان/أبريل 1937 – 30 ديسمبر 2006) سياسي وثوري عراقي شغل منصب الرئيس الخامس لجمهورية العراق والأمين القُطري لحزب البعث العربي الاشتراكي والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية في الفترة ما بين عام 1979 وحتى عام 2003. تميزت حياته السياسية ومن ثمة رئاسته للعراق بكثير من الاضطراب بسبب الحروب التي خاضها ثم بسبب الغزو الأمريكي للعراق الذي انتهى بالقبض عليه وإعدامه.. نفذ حكم الإعدام فجر يوم السبت الموافق 30 كانون الأول/ديسمبر 2006م في بغداد الموافق العاشر من ذي الحجة الموافق لأول أيام عيد الأضحى، ولقد تمت عملية الإعدام في مقر الشعبة الخامسة في منطقة الكاظمية. https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[39] - افتتاحية ابن يحمد : 21 – 07 – 1982 في "جون أفريك".

هذا شان أنظمة النفط، أما المحرومة منه، فقد قادتها سياستها الإنمائية المنبتّة عن ثقافة الجماهير ومصالحها وإرادتها إلى الإفلاس الاقتصادي، وتجذير التبعية للغرب، واتساع الفوارق الطبقية، مما جعل تلك الأنظمة على حافة البركان. فما لها بد من البحث عمن يحميها من الثورات الداخلية أو التدخل الخارجي من طرف أنظمة تنتمي إلى معسكرات أخرى.

لقد حسم شارون المعركة - في هذه المرحلة - لصالح الأمريكان ومواليهم في المنطقة، مطيحا إلى غير رجعة فيما يبدو بجبهة الرفض، فما بقي منها من رافض إلا رجل واحد هو خائف يترقب لا يدري متى يأتي دوره ليطاح به من طرف الأمريكان وعملائهم هو القذافي[40]. لقد أظهر شارون هشاشة الرافضين كلهم وأن حقيقة رفضهم لا يتجاوز العنف اللفظي ومهاترات الشعارات في الهجوم على الامبريالية. لقد اكتشفت الجماهير أن الرافضين كالقابلين عندما يتعلق الأمر بمواجهة إسرائيل فماذا فعل السوريون؟ ألم يكونوا أسرع إلى الاستجابة لدعوة شارون إلى وقف إطلاق النار من طرف واحد؟

أمّا الفلسطينيون، فقد أدركوا هذا التحول في موازين القوى في المنطقة لصالح أمريكا وأتباعها، فاجتهدوا في تمتين علاقاتهم مع جبهة «القاز» رغم عضويتهم في جبهة «الرفض». يقول هاني الحسن أحد الزعامات الفلسطينية البارزة والمستشار السياسي لياسر عرفات منوها بمواقف المملكة الثابتة من القضية الفلسطينية: «لا يسع المنظمة إلا أن تعلن عن تقديرها الخاص لدور الملك فهد بن عبد العزيز ولجهوده الشخصية التي يوليها لدعم القضية

---

[40] - مُعمّر محمد عبد السلام القذّافي (7 يونيو 1942 – 20 أكتوبر 2011) كان سياسيًا وثوريًا ليبيًا حكم ليبيا لأكثر من 42 سنة.[3] أولًا كرئيس مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية 1969 - 1977. بعدها صار يُعرف بالأخ القائد للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى 1977 - 2011. صعد القذافي إلى السلطة في إنقلاب عسكري خلع عبره الملك إدريس, ملك المملكة الليبية في العام 1969 وظل رئيسًا لمجلس قيادة الثورة حتى عام 1977، عندما تنحى رسميًا من رئاسة مجلس قيادة الثورة ونصب نفسه «قائدًا للثورة». في عام 2008 عقد اجتماعًا لزعماء أفريقيا ومنح لقب «ملك ملوك أفريقيا» ومدافعًا رئيسيًا عن الولايات المتحدة الأفريقية، وشغل منصب رئيس الاتحاد الأفريقي في الفترة من 2 فبراير 2009 إلى 31 يناير 2010. بعد حكمه ليبيا لأكثر من 40 سنة حكما استبداديا قتل معمر القذافي في سرت (مسقط رأسه) عن عمر يناهز 69 سنة في 20 أكتوبر 2011 بعد قتله إعداماً أو متأثراً بجراحه بعد أسره من قبل ثوار ليبيا. https://ar.wikipedia.org/wiki/%

الفلسطينية». وأوضح أن هناك «تنسيقا سياسيا بين المملكة ومنظمة التحرير لدعم حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ووصف العلاقات السعودية الفلسطينية بأنها علاقات أخوة وصداقة»([41]).

أما ياسر عرفات، فقد وصف نتائج قمة فاس بأنها إيجابية وهامة في مستوى التحدي، وأنها تمثل قفزة إلى الأمل في العمل العربي بوجه عام؛ وأضاف وكأنه يبرر موقفه هذا: «أنا واقعي وأدافع عن قضية» ([42]). وعن مقترحات ريغن ذكر بسام الشكعة أنه موافق على ما جاء في تعليق السيد فاروق القادومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير على مقترحات ريغن الذي لاحظ أن هذه المقترحات تتضمن عناصر جديدة تستحق الدرس. وذكر بسام الشكعة([43]) أن كلام القادومي يعكس وجهة نظر الشعب الفلسطيني ([44]).

وهكذا تحولت أمريكا من كونها طرفا في النزاع إلى كونها حكما، بل صديقا للعرب يقدم لهم -حسب تعبير رئيس مؤتمر فاس- فرصة نادرة لاسترجاع أرضهم، ينبغي ألا يضيعوها. بينما كان يقتضي اعتبار أمريكا طرفا معاديا في الصراع ينبغي أن يصدر عن المؤتمر تنديد بها صارم وتهديد بضرب مصالحها وقطع العلاقات معها لحملها على كف اشتراكها في حربنا. ولكن الواقع أن مقترحات ريغن كانت كما ذكرَت جريدة لوموند أهم المواضيع التي ناقشتها قمة فاس. وأن مبادرته كانت تتصدر إلى جانب مشروع فهد اعمال مؤتمر فاس، كما أوضحت ذلك الصحيفة السعودية «المسائية» ([45]).

---

[41] - جريدة العمل، 11 -9 - 1982

[42] - جريدة الصباح : 2 -9 - 1982

[43] -بسام أحمد الشكعة (ولد عام 1930 - 22 يوليو 2019) هو أحد أعيان مدينة نابلس في فلسطين. رئيس بلدية نابلس السابق في الفترة 1976-1982، من الشخصيات الوطنية الفلسطينية المعروفة والتي تحظى باحترام كبير في الشارع الفلسطيني. ذو توجه قومي عربي وهو يعد زعيم البعثيين في فلسطين. https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[44] - الصباح، 04 – 09 -1982

[45] - النقل عن «لوموند» و «المسائية»، عن طريق جريدة الطريق الجديد - 11 - 9 - 1982

لقد أقر مؤتمر فاس ميزان قوى جديد في العالم العربي، فبرز فهد زعيما بلا منازع. فكان يبدو في جلسات المؤتمر رجلا وقورا وكأنه غارق في تأملات عميقة قليلا ما يتدخل، ولا يتدخل إلا بإيجاز ليقول كلمة الفصل عقب كل مناقشة أو جدال بين المؤتمرين. أما ياسر عرفات، فقد بدا واضحا انضمامه إلى معسكر المعتدلين. وإذا كان هؤلاء المعتدلون قد راهنوا على الحل السياسي بدل الحل العسكري، وكان الحل السياسي مرتبطا بأمريكا وقدرتها على فرض وفاق على إسرائيل، ظهر واضحا مدى التحول في ميزان القوى الذي أسفرت عنه قمة فاس، واتجاه منظمة التحرير إلى مزيد من الاعتدال ومراهنتها على الحل السياسي، أي على إقناع الأمريكان وحلفائهم الغربيين بعدالة قضيتهم، وبضرورة تدخلهم للضغط على إسرائيل وإقناعها بجدوى مقايضة السلم بالأرض. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا إلى أي مدى يمكن الرهان على إمكانية الفصل بين المصالح الأمريكية والإسرائيلية؟ وإلى أي مدى تقدر أمريكا في صورة اقتناعها أن تفرض على إسرائيل مالا تريده هذه الأخيرة؟ وبعبارة أخرى، إلى أي مدى يمكن للعمل السياسي وحده أن يحقق أهداف حركة ثورية كحركة التحرير الفلسطيني والعربي عامة في استرجاع الوطن السليب أو حتى جزء منه بعد أن سلمت الأنظمة العربية بشكل رسمي بما فيها منظمة التحرير بحق كل دول المنطقة بالعيش في سلام، مما يعد اعترافا واضحا بإسرائيل، وهو اعتراف من طرف واحد، لأن إسرائيل ترفض رفضا قطعيا مفهوم الدولة الفلسطينية؟

الفصل الخامس

الأمريكان والقضية الفلسطينية

إن الذين يعرفون تشابك العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وما تمثله إسرائيل في المنطقة من حارس أمين للمصالح الأمريكية ضد كل احتمالات التحول المضاد للمصالح الغربية عامة، فضلا عن الخلفية الحضارية المشتركة (الحضارة اليهودية المسيحية)، التي تجعل من إسرائيل امتدادا كاملا للغرب في قلب العالم العربي الإسلامي، وحقيقة دورها المطلوب لإجهاض كل محاولة لبعث حضاري في المنطقة، بالإضافة إلى ما يمثله الأخطبوط اليهودي في أمريكا خاصة والغرب عامة من ثقل اقتصادي وثقافي وسياسي وإعلامي ذي تأثير فعال في القرار الأمريكي والغربي. لا يمكن معه لأي نظام أمريكي إلا أن يقرأ له حسابا وأي حساب! ؛ إن من يدرك ذلك، لا يمكن له أن يصدق - في الأجل القريب والمتوسط على الأقل احتمال تصادم جذري بين الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة العربية والإسلامية عامة.

وقد كتب محرر مجلة «المستقبل» الصادرة في باريس معلقا على آفاق السلام في الشرق الأوسط فقال:« لقد أسقط شارون القنبلة الأولى هذه المرة على واشنطن وليس على بيروت، أسقطها على واشنطن التي أصر على وصفها بأنها شريكة إسرائيل وليست حاميتها وأساس بقائها، وهي المستفيدة الأولى من غزو لبنان، وليست المحرجة أمام أصدقائها العرب من جراء هذا الغزو والمهددة لمصالحها إذا لم تسارع لاحتواء المضاعفات السلبية عليها بإيجاد حل سريع وعادل للمسألة الفلسطينية، ويقول شامير([46]) إن الولايات المتحدة و إسرائيل تتقاسمان الهدف حتى وإن اختلفتا في طريقة تحقيقه»([47]) وقد صرح وزير الدفاع الأمريكي كأنه يعتذر

---

[46] - إسحاق شامير (22 أكتوبر 1915 - 30 يونيو 2012)، سياسي إسرائيلي ورئيس وزراء إسرائيل السابع، تولى منصبه لفترتين (1984-1983، 1992-1986). كان شامير قبل إنشاء دولة إسرائيل زعيمًا للجماعة الصهيونية المسلحة ليحي، المعروفة أيضًا باسم عصابة شتيرن. في عام 1944 ارتكبت منظمة ليحي والإرغون مذبحة دير ياسين التي راح ضحيتها أكثر من 100 فلسطيني.

فاز شامير في انتخابات قيادة حزب حيروت عام 1983 ليخلف بيغن كزعيم للحزب، مما جعله رئيسًا للوزراء وزعيمًا لحزب الليكود.

خسر شامير الانتخابات التشريعية الإسرائيلية عام 1992 أمام إسحاق رابين وفي عام 1993 حل محله بنيامين نتنياهو كزعيم لليكود.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[47] - جريدة لوموند "Le Monde" نقلا عن جريدة الصباح عدد 1982/08/26

لأمريكا عن المجزرة الشنيعة التي قام بها الحلف الإسرائيلي الصليبي في المخيمات الفلسطينية ببيروت رغم الضمانات الكتابية التي قدمها الأمريكان لمنظمة التحرير بحماية المدنيين من كل عدوان بعد رحيل الفدائيين، صرح بأن بلاده لا تستطيع السيطرة على إسرائيل، وأن إسرائيل هي التي تمثل مصالحها في المنطقة ([48]). فضلا عن ذلك فإن بلدا كأمريكا ممتلئا شعورا بالقوة والتفوق على جميع المستويات، حتى على فرض إلغاء كل الاعتبارات السابقة، كيف يمكن له أن يحترم أنظمة ممزقة خاوية فاقدة للإرادة السياسية والحضارية مثل الانظمة العربية التي هي أنظمة عائلية وعشائرية متخلفة مقابل نظام إسرائيلي يمثل القيم الغربية ويجسدها بتفوق على جميع المستويات، مما يؤهله للقيام دور الشريك الجدير بالثقة. ولو قارنا مثلا بين الكفاءة العالية والإرادة السياسية والإدارية الحازمة التي تدير بها إسرائيل آلة الحرب الأمريكية، وبين الاستهتار واللامبالاة، بل الخيانة والميوعة التي يدير بها السوريون مثلا آلة الحرب السوفياتية، لأدركنا سببا من الأسباب التي تجعل إسرائيل موضع إعجاب في غرب تأسست فلسفته على السيطرة والقوة والنظام. وعلى سبيل المثال، فإن إسرائيل هي البلد الوحيد الذي يتلقى طلبات عسكرية من وزارة هي الدفاع الأمريكية([49]). وهذا التشابك في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية يجعل الظن بأن في إمكان أمريكا وخاصة في عهد ريغن، أن تفرض أي شيء على اسرائيل وتضطرها إلى تنازلات، هو ظن خادع. فالثابت أن المعونة الأمريكية العسكرية لإسرائيل تتضاعف عقب كل حرب تشنها إسرائيل. فقبل حرب 1967 كانت 200 مليون دولارا، ثم تضاعفت مرتين بعد الحرب. وقد بلغت بعد حرب 1973 (2 مليارا)، لدرجة أن المساعدة العسكرية لإسرائيل والدين الخارجي (24 مليارا، وهو يعادل الدخل القومي لإسرائيل)، وانفتاحها على الضفة الغربية، واليوم على لبنان لتصريف بضائعها، هي الأعمدة الرئيسية للاقتصاد الإسرائيلي الذي تعد مشاكله جزءا من مشاكل الاقتصاد الأمريكي، مما جعل خبيرا اقتصاديا إسرائيليا يقول: «إن إسرائيل ليست لها مشاكل اقتصادية وإنما الولايات المتحدة هي التي لها مشاكل»([50]). وذلك على اعتبار أمريكا شريكا

---

[48] - نقلا عن نشرة الأخبار للتلفزة التونسية، الساعة الثامنة من مساء يوم 1982/09/21

[49] - "جون أفريك"، 1982/09/15

[50] - نفس المصدر، ص 26

لإسرائيل في حربها، وفي المصالح المترتبة على تلك الحرب، والحارس الأمين للمصالح الغربية عامة في المنطقة العربية.

من هذا المنطلق نفهم التدخل الأمريكي في لبنان وتخطيطها مع إسرائيل. وقد اعترف شارون بذلك فقال: «إن غزو لبنان كان موضوع نقاش في شهر سبتمبر الماضي 1981 مع وزير الخارجية الأمريكي. وناقشه مع وينبرغر([51]) في نوفمبر من نفس السنة، وناقشه مع حبيب([52])، ولكن الأمريكان يذكرون ان الإسرائيليين خادعوهم إذ كانت المنطقة التي وافق الأمريكان على احتلالها من لبنان تتناول الشريط الحدودي ولا تتجاوز 40 كيلومترا، بل قد كانت عدة بلدان عربية على علم بذلك وسكتت على أمل القضاء على الفدائيين في قواعدهم القوية في الجنوب اللبناني - ولكن بيغين خدع الأمريكان، فتجاوز ذلك إلى احتلال ثلثي لبنان بما في ذلك عاصمته.

فغزو لبنان أو جزء منه على الأقل - خطة مشتركة بين الأمريكان وشركائهم الإسرائيليين وعملائهم العرب، وذلك من أجل تدمير منظمة التحرير، أي تحويل مسارها من منظمة تتجه إلى أن تمثل طليعة التحرر في العالم العربي، إلى صيرورتها جزءا من الواقع السياسي العربي الخانع للأمريكان. وحتى لا يصاب الفلسطينيون بمرارة الخيبة فيندفعون إلى الانتقام من الأنظمة العربية وتهديد المصالح الغربية، كان لا بد أن تتبع عملية تدمير وجودهم العسكري في بيروت على يد اليهود بعد أن دمر ذلك الوجود مرات على يد العرب قبل ذلك، كما أصبح

---

[51] - كاسبار واينبرغر (Caspar Weinberger) (18 أغسطس 1917 - 28 مارس 2006) هو سياسي ورجل أعمال أمريكي. وكان جمهوريا بارزا وعمل في العديد من المناصب الحكومية والفدرالية لثلاثة عقود، بما في ذلك رئيس الحزب الجمهوري في كاليفورنيا، 1962-68. وأبرزها كان وزير الدفاع في عهد الرئيس رونالد ريغان من 1981 إلى 1987.https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[52] - فيليب حبيب (بالإنجليزية: Philip Habib) (1920 - 1992) دبلوماسي من الولايات المتحدة من أصول لبنانية مارونية برز اسمه عالميا لدوره في أحداث غزو لبنان 1982 حيث تمكن حبيب من إبرام اتفاق لوقف إطلاق النار بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في يوليو 1981 وتمكن أيضا في 18 اغسطس 1982 من إبرام وقف آخر لإطلاق النار بين الطرفين، إتسمت علاقاته بالتشنج مع وزير الخارجية الأمريكية آنذاك ألكسندر هيج حيث كان هيج يمثل تيارا يمينيا داعما لإسرائيل في أثناء حرب لبنان 1982. https://ar.wikipedia.org/wiki/%

يمثل تهديدا حقيقيا لإسرائيل وبالتالي للأنظمة العربية ممثلة المصالح الرأسمالية في منطقتنا، كان لا بد ان يتلو ذلك تسوية سياسية تنزع من المقاتل سلاحه كما تنتزع من الأسد مخالبه وقواطعه ليتحول إلى حيوان أليف ويقر في خلده بأن ذلك يمثل انتصارا وحكمة وسياسة عظيمة، من هنا ينطلق مشروع ريغن لتسوية القضية الفلسطينية.

ولإبعاد المشروع عن بصمات التآمر وروائح الخيانة، كان مؤتمر فاس من أجل تعريب المشروع الأمريكي وطبعه طبعة عربية. ورغم أن المسافة بين مشروع ريغن الذي ينفي فكرة الدولة الفلسطينية وبين مقررات فاس التي تؤكد عليها، فإن الأنظمة العربية ومنظمة التحرير، قد اعتبرت المشروع الأمريكي خطوة ايجابية وتحولا في السياسة الأمريكية حيث راهن جميعهم على الحل السياسي أي على اعتراف الأمريكان بمنظمة التحرير والضغط على إسرائيل. ومعلوم أن الأمريكان يشترطون اعتراف منظمة التحرير بإسرائيل، ولم يعد هذا الشرط بعد فاس عقبة تذكر، وإنما العقبة هي اعتراف الأمريكان وإسرائيل بالمنظمة والدولة الفلسطينية. ولئن كان الموقف الاسرائيلي حاسما في نفي أي امكانية لهذا الاعتراف، فإن الأمريكان فيما يبدو، كانوا يراهنون على تطور رأي عام داخل إسرائيل موال للحل السلمي، كاره للحرب، مستعد لإعادة جزء من الأرض مقابل السلام مع توفير ضمانات في أن لا تتحول تلك الأرض إلى قلعة للهجوم على إسرائيل. والأمريكان مستعدون أن يقدموا ذلك الضمان للإسرائيليين ممثلين في حزب العمل وفي مجموعة من الجمعيات والتنظيمات داخل إسرائيل مراهنة على الحل السلمي. وقد ضمن ريغن قبل الإعلان عن مشروعه، إقناع القطاع الأوسع من المنظمات اليهودية في أمريكا. وقد استغلت في ذلك زيارة بيريز نفسه لأمريكا، كما ضمن إقناع أهم الأطراف العربية، فلقد أعلن الملك حسين وهو المعني الأول بالحل الأمريكي، إثر لقائه بمساعد وزير الخارجية الأمريكي أنه "يؤيد إيجاد كونفدرالية بين الأردن وفلسطين، وقال إننا كيانان منفصلان مرتبطان مع بعضنا"، وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أن الملك حسين «أعرب اعتقاده بأن الاعتراف بإسرائيل إذا استتب السلام سيصبح أمرا لا مفر منه، وأن إقامة علاقات ديبلوماسية مع إسرائيل إذا استنب السلام سيصبح أمرا لا مفر منه أيضا»([53]). ولقد مهدت الاتصالات المباشرة وغير المباشرة ثم زيارة وفد من الكونجرس مقر

[53] - جريدة "العمل" (تونسية)، 1982/09/15

ياسر عرفات وموافقة هذا الأخير على كل ما صدر عن الأمم المتحدة من قرارات في شأن القضية الفلسطينية. ومعلوم أن تلك القرارات تتضمن اعترافا واضحا بإسرائيل، واعترافا ضمنيا أو صريحا بالفلسطينيين كلاجئين أو بحقهم في إقامة دولة ذات سيادة مثل القرار 181 و 242 و 3236، فهل يعني ذلك أن المناخ قد تهيأ لوضع حد لصراع مضى عليه أكثر من خمسين سنة بين العرب واليهود؟ ذلك فيما يبدو النتيجة الطبيعية لكل المجازر والتضحيات، والمؤتمرات والمخططات العربية والغربية؟

الفصل السادس

ما مصير القضية الفلسطينية؟

يقول الأخ أحمد بن بلة: «**ولو أن الفلسطينيين انتهوا تحت الضغط للإقرار بأي حل، فإن العرب لن يقبلوا طويلا الدولة اليهودية**». ويمكن تعليل ذلك بما يلي:

1 - بتشريح الطبيعة الصهيونية التي تنطلق استراتيجيتها من السيطرة الاقتصادية والثقافية والسياسية على المنطقة كلها، بحيث حتى ولو اعترف العرب اليوم بدولة يهودية ضمن حدود معينة، فإن الطبيعة الصهيونية لن تعتبر ذلك سوى مرحلة وفرصة لمزيد من التأهب للانقضاض وإحكام السيطرة على مناطق أخرى. إن إسرائيل ترفض وضع أي حد لها. إن الخريطة الرسمية لإسرائيل تلك التي تتربى عليها الأجيال اليهودية والتي تتصدر المؤسسات الرسمية كالكنيست هي تلك التي حددتها مصادرهم الدينية وانطلقت منها الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر:

«**أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات**»([54]).

[54] - أرض الميعاد: إحدى المزاعم اليهودية التي قامت على وعد الله تعالى لإبراهيم الخليل عليه السلام بحسب ما جاء في التوراة بأن يورثه أرضا كبيرة رغم أن التوراة نفسها لم تذكر هذه الحدود بدقة: فقد جاء في التوراة:" أنا الربّ الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها"(سفر التكوين:15). كما جاء في سفر التكوين أيضا: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ. الْقِينِيِّينَ وَالْقَنَزِّيِّينَ وَالْقَدْمُونِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِينَ وَالرَّفَائِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ»(سفر التكوين:15). وهذه النصوص التي كثر حولها الكلام على فرض صحتها لا تدل على أن الله ورّث بني إسرائيل بالذات هذه الأرض الموعودة توريثا نهائيا، ناهيك أن إسماعيل عليه السلام هو أيضا من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام. وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر على لسان موسى عليه قوله:" يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ" [المائدة:21]، فإنّ بني إسرائيل ارتدّوا على أدبارهم فأصابهم غضب الله ولعنته وحرمانه لهم من أيّ ميراث نافع. والله سبحانه يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممّن يشاء .

بل إن أحلام الصهيونية وهَوَسَهُمْ (الصهاينة) القومي والديني، يتجاوز ذلك إلى الطموح إلى إخضاع العالم كله تحت سيطرتهم المباشرة أو غير المباشرة، وليست "بروتوكولات حكماء صهيون" سوى وثيقة من الوثائق الكاشفة عن تلك الطموحات([55]).

2 - إن الصراع بين العرب والإسرائيليين ليس ظاهرة حديثة، فهي من أقدم الظواهر التي صاحبت تاريخ هذه الأمة منذ نشأتها وانطلاقتها الحضارية مع ظهور الإسلام؛ من يومها بدأ التآمر الصليبي اليهودي على هذه الأمة في محاولات متكررة لطمس إشعاعها الحضاري الإنساني أن ينطلق مكتسحا ما يرزح تحته العالم من مظالم وظلمات. وهو صراع لئن كانت مظاهره متعددة، فإن جوهره قيمي بين أنموذجين للإنسان وللعلاقات الإنسانية: الأنموذج الغربي المسيحي اليهودي الذي يقوم على السيطرة العنصرية والامتلاك والقوة والماكيافيلية (اللاأخلاق)، والأنموذج الإسلامي الذي يقوم على التوحيد، توحيد الله في العبادة، واعتبار البشر كلهم عائلة واحدة لا تتفاضل إلا بالفكر والعمل حيث يخضع السلوك البشري كله الفردي والاجتماعي لقيم إنسانية ثابتة ولعدالة الله المطلقة. وليس التواطؤ الأمريكي الغربي عامة مع الإسرائيليين والكتائبيين بالأمس القريب بالهجوم الشرس على مقيمات الفلسطينيين العزل وتجزير آلاف الأبرياء رغم التعهدات الأمريكية الإسرائيلية إلا سلوكا واحدا يعبر بوضوح عن الطبيعة اللاإنسانية اللاأخلاقية لحضارة الغرب. ولقد تكرر هذا السلوك منهم معنا ومع الشعوب المستضعفة آلاف المرات، فإنه لئن كان في الغرب وفي إسرائيل ديمقراطية، ولإنسانها حقوق وقضاء مستقل وحريات، فإن كل ذلك لا يخرج عن الإطار القومي ولا يتجاوزه ليشمل الإنسان كل إنسان بغضّ النظر عن جنسه ولونه ومعتقداته. وليس هناك أي أمل طالما كان الغرب كذلك، أن تضع الحرب بيننا وبينه أوزارها.

---

[55] - بروتكولات حكماء صهيون. هو اسم الوثيقة الخطيرة التي صدرت عن المؤتمر الصهيوني الذي جمع كبار علماء ومفكري ورؤساء المنظمات الصهيونية في مدينة بال سويسرا سنة 1897. ولقد حددت هذه الوثيقة مخططة صهيونيا للسيطرة على العالم من طرف الصهاينة لهدف بعيد، وحددت هدفا مرحليا لتكوين دولة صهيونية في فلسطين خلال 50سنة. ولقد اجتهد الصهاينة في إنكار هذه الوثيقة الخطيرة ومصادرتها من الأسواق كلما نشرت، أو الاعتداء على ناشرها. وقد ترجم هذه الوثيقة الخطيرة إلى العربية ونشرها الأستاذ محمد خليفة التونسي، وقدم لها الأستاذ عباس محمود العقاد، وقد أعاد نشرها بتونس الأستاذ عبد الفتاح مورو.

وواضح أن الغرب المعني يتجاوز المفهوم السياسي المتداول لينصب على التصورات والقيم والمسالك التي قدمنا، فحيثما وجدت فثمّ الغرب ([56]).

3 - إن التعويل على الرأي العام العالمي في استرجاع فلسطين أو جزء منها - رغم أهمية كسب الرأي العام في معركتنا الحضارية مع الغرب - هو ضرب من الخداع تمارسه الأنظمة العميلة للغرب تخدر به الشعوب، وسراب خلب تهدر الطاقات في اللهاث وراءه، أليس هذا الغرب الذي نريد كسبه لقضيتنا ضد إسرائيل هو نفسه الذي أوجد إسرائيل لحراسة مصالحه والحيلولة دون شعوبنا وانطلاق ثورتها الحضارية؟

أليس هذا الغرب نفسه هو الذي توج مذابح بيغين بتسليمه جائزة نوبل للسلام؟ هل يمكن أن يذهب بنا الخيال في تصور تخلي الغرب عن إسرائيل حدّا يتجاوز قطع الغرب علاقاته الديبلوماسية مع إسرائيل، أو على فرض حصول ذلك، فهل هو كاف لنستعيد القدس؟

أليس النظام العنصري في جنوب افريقيا نظاما قويا رغم أن معظم دول العالم لا تقيم معه علاقات ديبلوماسية، وأن لا مكان له في الأمم المتحدة؟، هل ضره ذلك شيئا؟

إن حصر المعركة في استرجاع فلسطين على العمل السياسي وحصر العمل السياسي في إقناع الغرب والأمريكان خاصة، هو تعبير آخر عن قدرة عجيبة تفوقت فيها الأنظمة العربية هي لعبة قلب الحقائق وإخراج هزائمنا مخرج البطولات.

4 - إن معظم الفلسطينيين ولئن قبلوا، وهم تحت أنقاض بيروت تصلاهم نار حامية من الراجمات الإسرائيلية الأمريكية، وخيانات الأنظمة العربية وسلبية الشعوب، قبلوا أحد المُرَّين: الموت او الاستسلام لمخططات الأمريكان وهم العدو الرئيسي لأمتنا والاستسلام للأنظمة العربية، فاختاروا ولو إلى حين الثاني، - فكثفوا نشاطهم السياسي لتوظيف الهزيمة العسكرية في الحصول على انتصار سياسي، وبدا وكأنهم قد راهنوا على الحل السياسي، فهل أن ذلك من قبيل الحلول الظرفية (تكتيك)، أم هو تعبير عن تحول استراتيجي في خط

---

[56] - يمكن الرجوع الى كتيب. ما هو الغرب؟، نشر مجلة المعرفة وللمقالات الثلاث التي نشرت بها تحت عنوان . نحن والغرب من جديد ..

المنظمة؟ إن ميثاق منظمة التحرير قد حدد للثورة الفلسطينية مهمة واضحة هي تحرير فلسطين، وهو هدف كثيرا ما استغلته الدعاية الصهيونية ضد الثورة الفلسطينية مما جعل قادتها محرجين تجاه أصدقائهم الغربيين ويضغطون عليهم في اتجاه تغييره، فهل الفلسطينيون بصدد عمل ظرفي أم هم بصدد التحول عن الهدف الذي حدده ميثاق منظمتهم؟

إن الاعتبارات التي قدمناها حول طبيعة الصهيونية وطبيعة الغرب المتحالف معها، كفيلة بحد ذاتها أن ترد الفلسطينيين إلى الجادة إن هم خدعوا - في هذه المرحلة - أو اضطرتهم الظروف إلى الاستسلام لأعدائهم.

إن منظمة التحرير تجد نفسها اليوم على مفترق طريقين: طريق الاختيار السياسي وهو ما تدفعها إليه بقوة آلة الحرب الجهنمية الأمريكية المدعومة بالأنظمة العربية الخائنة، أو الاختيار العسكري وهو ما تجتهد كل الظروف المحيطة بالمنظمة لزحزحتها عنه؛ فلقد كان الفلسطينيون يُحتملون على مضض كلاجئين في البلاد العربية، أمّا وقد حملوا السلاح لإثبات وجودهم واستعادة ثقتهم في نفسهم وقدراتهم على قهر عدوهم واسترجاع وطنهم رغم أنف العالم، فقد باتوا لا يطاقون وتداولت الأنظمة على كسر شوكتهم ولاستئصالهم استئصالا. وتعاون على ذلك الرجعيون و«التقدميون» وحلفاء الروس والأمريكان، وهل من كبير فرق بين ما فعله حسين في سنة 1970 وما فعله أخوه الأسد في تل الزعتر 1976، وبين ما فعله شقيقهما شارون في بيروت سنة 1982.

لقد وقفت الأنظمة العربية موقفا واحدا تبذل قصارى الجهد من أجل انتزاع السلاح من أيدي الفلسطينيين يحمون بذلك إسرائيل ووجودهم المنبتّ من شعوبهم والمعلَّق بإرادة ريغن.

والمتتبع لتاريخ المنظمة يجد مشكلة التعامل مع الأنظمة العربية كانت مطروحة على قادتها وقواعدها منذ تاريخها المبكر. هل يبدؤون عملهم التحريري لوطنهم بمواجهة الأنظمة العربية المحيطة بإسرائيل على الأقل لأنها تحول دونهم وانطلاق عملياتهم متذرعة بالخوف من انتقام إسرائيل، ومعلوم أن استراتيجية حرب العصابات تقتضي توفر أرض آمنة للانطلاق، وتلك كانت استراتيجية بعض فصائل الثورة الفلسطينية التي اعتبرت أن الطريق إلى فلسطين يمر حتما بتصفية الأنظمة الرجعية في المنطقة العربية؟، أم أنّ الحل يتمثل في

الاستفادة إلى أقصى حد من التناقضات العربية لفائدة القضية بممارسة أسلوب المداراة مع كل الأنظمة والتوجه مباشرة إلى القضية الأم؟ وتلك كانت استراتيجية منظمة فتح أهم الفصائل المكونة لمنظمة التحرير ([57]).

ولقد تمكنت هذه الاستراتيجية من أن تفرض نفسها على المنظمة كلها بكل فصائلها. ولقد حققت المنظمة في ظل هذه الاستراتيجية الأخيرة كثيرا من المكاسب، فاستفادت من الأموال العربية، وتمكنت من لمّ شتات الفلسطينيين المشردين في البلاد العربية، وتحريك المشاعر الوطنية فيهم، وتوظيف علاقاتها بتلك الأنظمة في توسيع نفوذها في العالم، غاضة الطرف عن الممارسات القهرية لتلك الأنظمة. وشبَّت المنظمة - في ظل استراتيجية المداراة - على الطوق، وأخرجت القضية الفلسطينية إلى حد بعيد من سلطة ونفوذ الأنظمة، وغدت المنظمة قوة سياسية وعسكرية تمثل رغم سياسة المداراة - هاجسا مقضّا للمضاجع بالنسبة للأنظمة العربية، إذ هي تخشى أن تجرها إلى الصدام مع إسرائيل من ناحية، وتخشى من ناحية أخرى على شعوبها المقهورة أن تتسرب إليها أنفاس الثورة.

غير أن مأساة بيروت يبدو وأنها ستضع حدا لسياسة المداراة تلك، والعمل المسلح في ظل تلك السياسة. فقد ظلت عمليات المنظمة خلال السنوات الأخيرة تتقلص خاصة بعد ما وقعت مع إسرائيل وثيقة تعهدت فيها المنظمة يعدم القيام بعملياتها ضد اسرائيل انطلاقا من الجنوب اللبناني؛ تقلصت عملياتها العسكرية لحساب العمل أو الحل السياسي، وكان مؤتمر فاس تسجيلا لنهاية استراتيجية المداراة تلك، فلم يبق أمام المنظمة اليوم إلا الاتجاه في طريق أحد الخيارين:

1 - الخيار السياسي الأمريكي: الذي انطلق مع "مشروع روجرز" في أواخر العهد الناصري وانتهى في إحدى مراحله إلى مخيم داوود، ليصل إلى "فاس" كمرحلة أساسية من أجل تعميم اتفاقيات المخيم على البلاد العربية كلها، حيث لا مجال إلا لغصن زيتون ذابل، أما البندقية فقد صادرها شارون وإخوانه العرب من الحكام.

---

[57] - يقول ياسر عرفات في تصريح له للتلفزة اللبنانية:" والثورة الفلسطينية تعلم ان ميدان المعركة الحقيقي إنما يوجد في فلسطين وأنها لن تستطيع الاستفادة من معركة هامشية تحولها عن هدفها الأصلي". نقلا عن مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية العدد 555.

2 - **الخيار العسكري**: ولا سبيل إليه بعد بيروت إلا بالعودة إلى استراتيجية الجبهة الشعبية التي وقع التخلي عنها لفائدة استراتيجية التعايش مع الأنظمة العربية وهي استراتيجية تقوم كما تقدم، على اعتبار الطريق إلى فلسطين يمر بالأنظمة العربية.

فهل تقود الأحداث المنظمة إلى العودة إلى هذه الاستراتيجية التي تنطلق من أن القضية الفلسطينية جزء لا يتجزأ من القضية العربية، ومن ثم فلا سبيل إلى حلها إلا ضمن استراتيجية لتحرير البلاد والشعب العربي جملة؟ فهل يتجه الرهان الفلسطيني بدل الأنظمة العربية إلى الإنسان العربي والجماهير العربية والمسلمة عامة فتلتحم مع الحركات الشعبية والمنظمات الجماهيرية في الوطن العربي والوطن الاسلامي؟

ذلك ان قضية فلسطين ليست مجرد قضية سياسية بقدر ما هي قضية حضارية، قضية ضياع أمة وفقدانها للإرادة والرؤية والسلوك الحضاري، فتكون الثورة الفلسطينية ثورة تحرر حضاري شامل تعيد الوعي، وتفجر طاقات النضال والعطاء لدى الجماهير، وتعيد وسط المعركة ولهيبها سبكَ الجماهير لا لمواجهة الحكام العملاء ولا لمواجهة إسرائيل وحسب، وإنما لمواجهة الغرب عامة وأمريكا بشكل خاص، مواجهة الإمبريالية بكل أبعادها لبناء حضارة الإنسان المتحرر. أحسب أن المنظمة ستقودها الأحداث وبناؤها الديمقراطي المؤسساتي المتميز عن البنيات السياسية في العالم العربي، إلى التخلي عاجلا أو آجلا عن استراتيجية التعايش السلمي مع الأنظمة العربية. فرغم ما بدا من إيجابيات تلك الاستراتيجية في تلك الفترات، فقد قادت المنظمة في النهاية إلى طريق مسدود، إلى حافة الهاوية، إلى الارتماء في أحضان أعدائها الاستراتيجيين والتنازل عن البندقية والاستسلام - ولو إلى حين - إلى مخططات الأعداء وعملائهم في المنطقة.

والذي أنا على يقين منه، هو أن المنظمة إذا لم تقدم بشجاعة على تقييم مسارها والتخلي عن استراتيجية التعايش مع الأنظمة، فان الثورة الفلسطينية لن تفشل وتنتهي، وإنما المنظمة هي التي ستتمزق من داخلها لتحل محلها منظمة أو منظمات أخرى تصحح المسار وتأخذ بالثأر وتمسح العار.

ولقد بدأت الخلافات في الصف الفلسطيني تظهر في بعض التصريحات الفلسطينية، تلميحات مبشرة بهذا التحول. فقد أكّد جورج حبش([58]) الأمين العام للجبهة الشعبية في حديث مع الشبكة الأمريكية للتلفزة أن استمرار العمل المسلح كأداة ضرورية لتحقيق أهداف المنظمة لا غنى عنه، معللا ذلك بأن حركات التحرر التي حققت أهدافها دون اللجوء إلى النضال العسكري لا تكاد تذكر" ([59]).

أما ياسر عرفات، فقد علق على أحداث بيروت كما يلي: «إن البركان قد بدأ فورانه بعد، إن قوميتنا لها الحق اليوم أن تسأل، وتطلب الحساب غدا، وتثأر بعد غد، وأضاف أن رحيل الفلسطينيين عن بيروت وتوزيعهم في مختلف البلاد العربية يعني ببساطة أن المقاومة قد عادت إلى قواعدها السابقة»([60]). وفي هذا التصريح أكثر من إيحاء ومعنى، وكان ذلك في تصريحه للتلفزة الإيطالية، وفي لقائه منذ أيام قليلة مع وحدة الفدائيين التي غادرت بيروت إلى اليمن الجنوبي خطب حاثا إياهم على مواصلة تدريباتهم، ثم أكد قائلا إن البركان الذي تفجر في بيروت لن يخمد، ولكنه سيمتد على نطاق المنطقة العربية كلها وسينتهي إلى القدس([61]).

---

[58] - **جورج حبش: مناضل وسياسي فلسطيني، لقّب بـ"الحكيم"، وهو مؤسس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .يعرف بأنه أحد أعمدة المقاومة الفلسطينية في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين. ولد في الثاني من أغسطس/آب 1926 في مدينة اللد غرب القدس لعائلة ميسورة من الروم الأرثوذكس امتهنت الأعمال الزراعية والتجارية، وهاجر من فلسطين في حرب 1948. وتوفي بالأردن ودفن فيه عام 2008.**

حاول جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلية(الموساد) اغتياله في كثير من المناسبات.. في 1949 انتخب أمينا عاما لجمعية العروة الوثقى، التي كانت تجمع طلابا من جميع الأقطار العربية يجمعهم حلم القومية العربية.. وفي ديسمبر/كانون الأول 1967 أعلن عن تأسيس تنظيم جديد باسم "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين." وأعلنت أن هدفها تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح. وكان لمنظمته أعمال فدائية وقتالية عديدة..

- https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2023/12/14/%

[59] - نقلا عن جريدة الصباح التونسية: 1982/09/1

[60] - المصدر السابق نفسه.

[61] - جريدة LA PRESSE التونسية، بتاريخ 1982/09/25

أما أبو إياد[62] وهو الشخص الثاني في منظمة التحرير، فقد صرح لـ «المجلة» في نفس الاتجاه: «إذا تواصل الضغط المسلط على الفلسطينيين، وتواصل تجاهل حقوقهم، فإني

[62] - أبو إياد: ولد الشهيد القائد صلاح خلف "أبو إياد" في مدينة يافا عام 1933، وعاش أول سنين من حياته حتى قبل قيام الكيان الإسرائيلي في العام 1948 بيوم واحد، واضطر قسرا وعائلته إلى مغادرة مدينة يافا وتوجه إلى غزة عن طريق البحر واستقر فيها مع أسرته، وأكمل دراسته الثانوية فيها عام 1951 ثم التحق بكلية العلوم التابعة لجامعة القاهرة وفي نفس العام التقى بياسر عرفات الطالب في كلية الهندسة آنذاك وتوطدت العلاقة بينهما من خلال تأسيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين.

تخرج صلاح خلف من كلية دار العلوم/ قسم الفلسفة عام 1957م وحصل على دبلوم تربية وعلم نفس وعاد إلى قطاع غزة للتدريس، وبدأ عمله السري في تجنيد مجموعات من المناضلين وتنظيمهم في غزة.

عام 1959 انتقل أبو إياد إلى الكويت للعمل مدرسًا، وكانت فرصة له هو ورفاقه القادة: ياسر عرفات، وخالد الحسن، وسليم الزعنون، وفاروق القدومي، ومناضلون آخرون في بلدان مختلفة، كان أبرزهم أبو يوسف النجار، وكمال عدوان، والرئيس محمود عباس المقيمين في قطر، لتوحيد جهودهم لإنشاء حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" لتعيد الفلسطينيين إلى أرضهم وحقوقهم.

بدأ اسم أبو إياد يبرز كعضو في اللجنة المركزية لـ"فتح"، ثم كمفوض لجهاز الأمن فيها، ثم تولى قيادة الأجهزة الخاصة التابعة للمنظمة، ومنذ عام 1970 تعرض "أبو إياد" لأكثر من عملية اغتيال .

https://wafa.ps/Pages/Details/39663 .

يعتبر أبو إياد أحد أهم منظري الفكر الثوري لحركة فتح، حتى أنه لُقّب بتروتسكي فلسطين، واسع الأفق نافذ البصيرة، أول من طرح فكرة الدولة العلمانية في فلسطين، التي يتعايش فيها الأديان الثلاثة (المسلمون والمسيحيون واليهود) متساوون في الحقوق والواجبات. أبرز مؤسسي ركائز جهاز الرصد الثوري، حيث وصل بالجهاز إلى أرقى المستويات سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي، باعتراف خبراء الأمن في العالم، وصل بالعمل الخارجي مرتبة نافس فيها الموساد الإسرائيلي والسي آي إيه الأمريكية والكي جي بي السوفياتية بالرغم من الإمكانيات المتواضعة للثورة الفلسطينية. كما يعتبر من أبرز المحاورين على المستويات الفلسطينية والعربية والعالمية، وكان يسمى على النطاقات النخبوية في حركة فتح بجارنج فلسطين نسبة للدبلوماسي السويدي المشهور جارنج وذلك لقدرته الفائقة على صياغة التوجهات والاستراتيجيات وبناء التحالفات وإدارة التفاوض بشكل فائق الحكمة. اغتاله الموساد الإسرائيلي على يد العميل لديه «حمزة أبو زيد» بتخطيط وتوجيه من صبري البنا زعيم منظمة أبو نضال في 14 يناير 1991 في تونس

https://ar.wikipedia.org/wiki/%

أخشى ظهور أيدي الانتقام التي تجعل العنف جوابا عن الاعتداء والنهب الذي تعرض له الشعب الفلسطيني»([63]).

أما خالد الحسن([64])، فقد تحدث عن العمل العسكري بعد بيروت فقال: «أما من حيث النضال العسكري الفلسطيني بالداخل وتصعيده واستمرار عملنا الفدائي السري، فإن القوات العسكرية المكثفة لا يمكنها حماية فعلها العسكري إلا ضمن مناخ نضال عربي، وموقف عربي تضامني، وأعتقد أن الوضع العربي المتردي يجب أن يدفع إلى تصعيد المناخ النضالي للقضية الفلسطينية، وهذا سيكون إحدى ثمار المعركة الخالدة»([65]).

ولقد استجوبت «المجلة» أحد المسؤولين السياسيين في منظمة التحرير عن ما أكده أحد الخبراء البريطانيين في الشرق الأوسط من أن المقاومة لا يمكن لها بعد التخلي عن بيروت أن تشن حرب عصابات انطلاقا من جبال لبنان الوعرة لصغر حجم المنطقة، ولعدم وجود مناطق آمنة ينسحبون إليها أثناء تحركاتهم، ولكن ذلك يغدو ممكنا إذا تبدلت السياسة السورية. «فوافق المسؤول الفلسطيني على هذا التحليل. ولقد أضاف الخبير البريطاني أن طرد الإسرائيليين للفلسطينيين من منازلهم سنة 1948 و 1976 و 1982 وقصف مخيماتهم الجديرة بالشفقة في مناسبات لا يحصر عددها، أن ذلك لن يجعل القومية الفلسطينية تختفي، ولن يختفي الفلسطينيون مهما بلغت أعداد قتلاهم. ان هذه المذابح تشجع فقط على زيادة التجنيد في صفوف منظمة التحرير»([66]).

---

[63] - جريدة LE TEMPS التونسية، 1982/09/01

[64] - خالد الحسن: (1928- 1994) أحد قادة (حركة فتح)، وأحد رموز النضال الفلسطيني، وأحد المؤسسين، شغل عضو اللجنة المركزية لحركة فتح. تسلم رئاسة لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني خاصة منذ العام 1968، واعتبر عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح منذ إنطلاقتها ورسمياً منذ العام 1967، أصبح عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في عام 1969م؛ وتسلم منذ الثمانينيات مهمة الإعلام في حركة فتح https://ar.wikipedia.org/wiki/% .

[65] - جريدة الصباح التونسية، 1982/07/15

[66] - "المجلة"، نقلا عن "الصباح"، 1982/07/15

صحيح أن شارون حقق ما أراد من إخراج الفلسطينيين من قلعتهم بيروت وتشتيتهم مرة أخرى كما الشأن معهم هر كلما اجتمعوا تسلط عليهم من يفرقهم منذ 1947. يقول شارون للصحفية الايطالية الشهيرة «أوريانا»([67]): «أردت أن يخرج الفلسطينيون من بيروت وقد حصلت على ما أردت. ربما يعتقد عرفات بأنه حصل من ذلك على كسب سياسي، إلا أن المستقبل سيثبت له عكس ذلك. إن الهزيمة سياسية وليست عسكرية وحسب، نظرا لأن قوة رجال عرفات تكمن في وجودهم مجتمعين في مركز دولي، فكانت لهم دولة داخل الدولة. ومن داخل لبنان تحركوا للعمل في كل أنحاء العالم. أما الآن، فهم مشتتون في ثماني دول مختلفة من اليمن إلى الجزائر»([68]). ولكن الذي لم يستطع شارون أن يدركه:

1 - أن قوة الجيوش النظامية تكمن في تجمعها وتمركزها، وليس الأمر كذلك بالنسبة للوحدات المتبعة لأسلوب حرب العصابات. وكان تجمع الفلسطينيين خطأ استراتيجيا وقعت فيه منظمة التحرير حين اتجهت لأن يكون لها جيش نظامي متمركز في لبنان، متسلح بسلاح ثقيل، مما لا يصلح إلا لدولة تتصرف في أرضها.

2 - أن الفلسطينيين جزء من أمة، وأن الأرض التي يناضلون من أجلها تقع في سويداء قلب كل فرد منها. هي أمة تكاد تكون لامتناهية في عمقها وأبعادها على نحو أن هزيمة أو أكثر لا تذهب بها، بل إن الهزائم التي حاقت بها عبر مئات السنين لم تؤثر في حيويتها ولم تفتّ في وجودها، بل تحملتها واستخلصت منها دواءها وخططها المستقبلية؛ فتحاملت على نفسها ونهضت فقلبت كل حسابات خصومها وسوّت كل الأوضاع التي قلبوها، وانتقمت، وطهرت

---

[67] - "أوريانا فالاتشي" صحفية إيطالية التي عاشت في الفترة من 1929 إلى 2006. وصلت "فالاتشي"، خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي، إلى درجة عالية من الشعبية لدرجة أنه لم يستطع أي زعيم سياسي رفض عرضها بعمل حوار معه حتى القائد الأعلى للثورة الإسلامية الإيراني، آية الله "الخميني"..
وعاشت "فالاتشي" حياتها من أجل رسالتها الصحافية، بين نقل أخبار الحروب والصراعات؛ مثل "حرب فيتنام" والثورات الثقافية والمظاهرات التي تعرضت للقمع مثل "مذبحة ساحة الحضارات الثلاث" في "المكسيك" عام 1968. اتهمت بالإسلاموفوبيا، وهو ما ظهر جليًا في كتاباتها عقب أحداث 11 من أيلول/سبتمبر عام 2011 في نيويورك، ما أضر بإرثها الثقافي، وباتت سمعتها على المحك بسبب آراءها المتطرفة ضد الإسلام.
https://kitabat.com/cultural/%

[68] - جريدة العمل التونسية، 1982/09/12

أرضها من الغزاة. فكان للهزائم مفعول الصعق الكهربائي، يوقظها، يعيد الوعي إليها، وأنه سيكون كما يقول الأخ أحمد بن بلة: «**هناك دائما مسلم ينهض لسحق الخونة**».

وأن الالتحام المصيري بين الحركة الإسلامية وقضية فلسطين، والتحام الثورة الفلسطينية بالحركة هو الكفيل بتثوير المنطقة كلها وتحريرها من الهيمنة الإمبريالية في كل صورها وبناء النموذج الحضاري لإنسانية متحررة([69]).

---

[69] - نقلت جون أفريك، العدد 1133 (أو 1132 لغموض في النص الأصلي: المحقق)،أن ياسر عرفات عند زيارته لمخيم وادي الزرقاء، خلال إقامته بتونس، كان يناقش مع المقاتلين الوضع الفلسطيني الراهن؛ وكان يسيطر على المقاتلين شعور الهزيمة مما يدفع المناقشات في طريق الحدة إلى حد استعمال العنف والتقاتل، مما اضطر مسؤول الأمن، أبا الطيب، إلى اللجوء إلى حبس البعض في غرف معدة لذلك.

* لقد اجتهد الإعلام العالمي الذي تديره الإمبريالية الأمريكية المتحالفة مع الصهيونية بما في ذلك الإعلام العربي في إضفاء هالة من الوطنية على عميل الصهيونية وجزار الفلسطينيين في تل الزعتر البشير جميل الذي نصب رئيسا للجمهورية تحت حراسة الدبابات (الصهيونية) الإسرائيلية، وتلقى أول برقية تهنئة من بيغين تصفه كأنه وطني عظيم. حرص الإعلام على رفع هذا الفاشي المجرم إلى مصاف الشهداء الأبطال الوطنيين بالإلحاح المتواصل على أن قاتليه هم الإسرائيليون بلا أدنى دليل، مع أن وكالات الأنباء أكدت حالة الوجوم، بل الذهول العام الذي أصاب الاسرائيليين لما بلغهم خبر مقتله، وسارع شارون إلى حضور جنازته. ويندرج عمل الإعلام ذاك، ضمن الحرب النفسية التي تشنها على الجماهير العربية لامتصاص نقمتها وإخراج أعدائها في صورة الأبطال وتبرئة ساحة المتواطئين من الحكام العرب مع الإمبريالية للإجهاز على الثورة الفلسطينية بتقديم الدعم الكامل للكتائب، وتنصيب عائلة جميل الفاشية على رأس لبنان. ولقد قامت السعودية بدور كبير في دعم البشير جميل بالمال الوفير (40 مليارا)، وشراء ذمم النواب المسلمين من أجل انتخابه حتى إذا اغتاله الوطنيون تحول بطل.

الفصل السابع
دروس من الثورة الفلسطينية

مهما اختلفت الآراء حول الثورة الفلسطينية، فإن الاتفاق حاصل على اعتبارها أهم ظاهرة سياسية تمخض عنها الصراع الإسرائيلي العربي استقطبت اهتمام الرأي العام العربي والدولي خلال السبعينات.

وحريّ بحركة ثورية مثل حركتنا([70])، أن تتوقف طويلا عند هذه الظاهرة وعند كل ظاهرة تغيير ثوري على الساحة العالمية قديما وحديثا لمتابعة مسارها وتحديد مواطن القوة والضعف والنجاح والفشل من أجل ترشيد المسار وإثراء التجربة، وإنقاص حجم الأخطاء، وتنمية الفعالية.

والعرض المتقدم -على اختصار - لنشأة الثورة الفلسطينية ممثلة في منظمة التحرير، يشد أنظارنا إلى مجموعة من خاصيات هذه الثورة يمكن لكل أخ أن يتوقف عندها وغيرها مستخلصا منها دروسا مفيدة لحركته:

[70] - يقصد الكاتب حركة النهضة التونسية التي كانت تسمى عند ظهورها "حركة الاتجاه الإسلامي".

1- الإيجابيات

أ - الطابع الجماهيري للثورة الفلسطينية:

من حيث نجاحها في استقطاب أوسع فئات وقطاعات الفلسطينيين، وبلورة الشعور الوطني الفلسطيني لديهم، والتفافهم حول المنظمة كرمز لذلك الشعور ومفجّر له، والأمل في تحرير الوطن السليب، وبناء الدولة الفلسطينية كهدف لحركة الجماهير. ولا تكون الثورة جماهيرية حتى تشد إليها اهتمام الرجل العادي، أي السواد الأعظم من الأمة، وتعبر عن آمالهم وآلامهم وطموحاتهم.

ب - الطابع المؤسساتي:

ليست جماهيرية الثورة الفلسطينية مقتصرة على مجرد المشاعر، فالمشاعر، مشاعر الإعجاب والحماس والنقمة وغيرها مهما كانت حدّتها، لا تتحول إلى عمل ثوري إلا بتأطير الجماهير وتنظيمها ضمن المؤسسات الجماهرية للمجتمع كالنقابات والجمعيات الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية.. الخ. ولقد حققت الثورة الفلسطينية نجاحا باهرا في تأطير الجماهير الفلسطينية ضمن اتحادات العمال والطلبة والمهندسين والأطباء والنساء والكتّاب والصحافيين... تعمل على ساحة المجتمع، وتجذّر روح الثورة فيه؛ وإن ثورة لا تعتبر مؤسسات المجتمع خلايا للتربية الثورية لن تكون سوى مجموعة من أبواق الدعاية أو عصابة مسلحة معزولة.

ج - الطابع الشمولي:

رغم أن المنظمة عرفت أول ما عرفت على صعيد الرأي العام بعملها العسكري ضد إسرائيل، فإن ذلك لم يصرفها عن العمل السياسي بمعناه الشامل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والإعلامي، بل إن الذراع العسكري - على أهميته - ليس هو في اعتبارها إلا أداة لخدمة العمل السياسي وحمايته إيمانا منها أنه قلما تمكنت حركة ثورية من تحقيق أهدافها السياسية دون عمل عسكري. ولكن العمل العسكري دون عمل سياسي يعبّئ الجماهير

ويستقطب الرأي العام المحلي والعالمي حولها، لا يجعل من الحركة في النهاية سوى منظمة إرهابية.

د - طابعها الجبهوي:

فقد تمكنت من استقطاب كل فصائل الثورة على اختلاف فصائلها وإيديولوجياتها، تجمع الكل حول برنامج مشترك للعمل السياسي ضمن مؤسسات مركزية توحد الخطط العامة مع احتفاظ كل منظمة بشخصيتها وزعامتها وخصوصياتها.

والعمل الجبهوي يمثل استراتيجية أساسية لمواجهة قوى الاستعمار في أشكاله القديمة والمعاصرة، وهي قوى تتجه إلى مزيد من إحكام قبضتها حول الشعوب معا يعسر معه إن لم يكن مستحيلا على كل حركة بمفردها - مهما كانت قوتها - أن تقدر على مواجهة تلك القوى فضلا عما في الإعراض عن العمل الجبهوي من ضياع لكثير من طاقات المواجهة الشعبية في نزاعات داخلية مما يضعف الجميع ويقدم لقوى الاستعمار فرصة ممتازة للإجهاز على الجميع، وتتحمل بذلك القوى الثورية مسؤولية عظمى في استمرار الهيمنة الاستعمارية بسبب إعراضها عن العمل الجبهوي.

وعمل المنظمة هذا، يندرج ضمن الجبهات التي قادت حركات التحرر على الصعيد العربي والعالمي مثل جبهة التحرير الجزائرية، والجبهة الوطنية لتحرير السلفادور، وغيرها.. وهي تجربة حَريّة بالدراسة من طرف الحركات السياسية في بلادنا وخاصة الحركات الراديكالية المصممة على التغيير الجذري، وذلك من أجل مواجهة العدو الرئيسي لحركة تحرر الجماهير في هذه المرحلة، أعني القوى الإمبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وعملائهما المحليين..

هـ - طابعها الديمقراطي:

الديمقراطية مقوّم أساسي لاستمرار ونجاح كل تجمع بشري حتى في أبسط صوره كالعائلة، فإذا كان الأمر يتعلق بإدارة مؤسسة كبرى كالحزب أو الجبهة أو الدولة، زاد تأكدا وإلحاحا، بل إن الديمقراطية أو الشورى لا تستمد قيمتها من مجرد الفوائد المنجرة عن

ممارستها كالنجاح والقوة والتضامن والأمن، وإنما تستمد قيمتها قبل ذلك من حيث هي مقوم أساسي لشخصية الإنسان، ولا معنى لإنسانيته بدونها، بغض النظر عن النتائج التي يمكن أن تؤدي إليها.

ويبدو أن منظمة التحرير قد توفقت إلى حد بعيد في ممارسة الديمقراطية داخل هياكلها، وذلك عامل أساسي في تطور العلاقات بين فصائل المنظمة نحو مزيد من التقارب والتلاحم والتصدي لدواعي التمزق والانشقاق. وتبدو المنظمة في هذا الصدد أنموذجا متميزا في الوطن العربي إنْ على صعيد الحكومات أو المنظمات والأحزاب. يقول النشاشيبي: «إن القيادة الفلسطينية رغم جراحها وظروفها، قيادة ديمقراطية يستمع فيها الكبير للصغير، يتناقش فيها الرفقاء بكل صراحة»([71]). وهي تجربه حريّة بالدراسة والاعتبار.

و- قدرتها على استيعاب الواقع العربي والدولي:

ونجاحها في توظيف التناقضات لصالح قضيتها. ومن ذلك، تعدد ألوانها وأوجهها؛ فهناك إلى جانب الوجه الرسمي المعتدل الملائم للتعامل مع مختلف الأنظمة والاستفادة منها، ألوان وأوجه أخرى تختلف في وجهتها الإيديولوجية واستراتيجيتها العسكرية التي تتيح للمنظمة الاتصال بالجميع والقيام بعدة عمليات ومغامرات، لا تجد المنظمة أي حرج في التنكر لها والتبري منها، لدرجة أن الصحافة بدأت تخبر عن انقسام مرتب داخل المنظمة يجعلها تضم تيارين أحدهما معتدل بزعامة ابي عمار والآخر متشدد يغذيه أبو إياد؛ وأن الثورة قد أقرت هذا الانقسام([72]). وفي ذلك حكمة بالغة ومرونة كبيرة في التعامل مع الواقع المعقد، وهي خاصية قد برع فيها اليهود.

---

[71] - نقلا عن جريدة الأنوار التونسية، 1982/10/06

[72] - نقلا عن جريدة الصباح التونسية، 1982/10/09

ز - اعتمادها في إدارة مؤسساتها على كفاءات علمية مختصة ومتشبعة بالروح الثورية.

ح - اهتمامها بالعمق العربي والدولي رغم طابعها الوطني:

فقد تمكنت من إنشاء شبكة واسعة من علاقات الصداقة أو التحالف مع أحزاب ومنظمات ودول عديدة للتعريف بقضيتها والاستفادة من تجربتها وطاقاتها.

ط - تبوؤُ المرأة مكانا ممتازا في تصور المنظمة ومناهج عملها:

مما يطمئن على مستقبل الثورة، ذلك أن المكانة التي تحتلها المرأة في حركة ما، تحدد إلى مدى بعيد مستقبل تلك الحركة وجماهيريتها، إذ كلما تقلص دورها كلما تقلص دور الجماهير، واستقر الاستبداد. يقول (فوريه)([73]): «تتم التطورات الاجتماعية وتبدلات الزمن وفقا لتقدم النساء نحو الحرية.. إن اتساع امتيازات النساء يشكل الأساس العام لجميع التطورات الاجتماعية».

أما (براسيل)، فكان يرى في النساء ليس فقط خميرة أي تقدم إنساني، بل القوة التي تفجر تحديدات المبدأ الديمقراطي ([74])، بل إن الإسلام يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يربط صلاح المجتمعات بالدور النضالي لكل أفراده في إزهاق الظلم وإحقاق الحق عن طريق الأمر

---

[73] - جان باتيست جوزيف فوريه (1768 -1830) هو أول عالم رياضي أدخل مفهوم تمثيل أي دالة رياضية، حتى تلك الدوال التي يتم التعبير عنها بعدة صور تحليلية في مدى عملها، مثل الدالة الدرجية في صورة تحليلية واحدة. هذا المفهوم الذي واجه رفضاً عند طرحه أثبت لاحقاً أنه الأساس لنتائج مهمة في العلوم والرياضيات والهندسة، ويقع في قلب مناهج الهندسة الكهربية في العصر الحديث، وقد توصل فوريه إلى فكرته أثناء دراسته لانتشار الحرارة في الأجسام الصلبة، بما في ذلك كوكب الأرض.
فوريه معروف اليوم بكونه واحداً من أهم العلماء في تاريخ الرياضيات والفيزياء. وحتى اليوم لا تزال تحليلاته وطرقه الرياضية مستخدمة ومعروفة في مختلف المجالات الرياضية والهندسية . https://ar.wikipedia.org/wiki/%

[74] -نقلا عن راجي قارودي (روجي قارودي سابقا قبل أن يسلم) في كتابه في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة مطرجي جلال، ص 39 - 40 ط دار الآداب، بيروت يناير 1982.

بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل المتاحة، ويجعل دور النساء في ذلك لا ينفصل عن دور الرجال؛ فهن شقائق الرجال [75]. وفي القرآن الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:71].

2- السلبيات

رغم هذه الإيجابيات الكثيرة، فإن المنظمة لم تتخلص من كثير من السلبيات:

أ – عدم ربط المنظمة مصيرها بمصير حركة التحرر في الوطن العربي والإسلامي:

فرغم الطابع الجماهيري للمنظمة ورغم وعيها بأهمية العمق العربي بالنسبة للثورة الفلسطينية، وتطلع الجماهير العربية والإسلامية إليها كأمل وطليعة لثورة التحرر، فإن المنظمة لم تبذل جهدا كبيرا في ربط مصيرها بمصير حركة التحرر في الوطن العربي والإسلامي، بل سارت بخطوات متسارعة في اتجاه التحالف مع الأنظمة ودعمها وتزكيتها لدى شعوبها، وتوزيع شهادات البطولة والوطنية عليها بكل سخاء، متجاهلة الطبيعة الفاشية الرجعية لتلك الأنظمة وعمالتها للإمبريالية وسحقها لشعوبها ولقوى التحرر فيها. وهو مسلك لئن كانت مبرراته مكاسبه المصلحية، فإنها مبررات لا أخلاقية ولا ثورية، وهي مكاسب آنية محدودة المدى. **فالمستقبل للشعوب وليس للأنظمة العميلة**. وكان على حركة ثورية مثل حركة التحرير الفلسطينية أن تربط مصيرها بالشعوب؛ فإن مما يحز في النفس أنه في الوقت الذي بذلت فيه المنظمة جهودا كبرى لإرضاء الأنظمة، نرى الأنظمة تجتمع رغم تناقضاتها على إبادة الثورة وتصفيتها في حرب صليبية - كما وصفها أبو إياد[76]. وليس غائبا عنا ونحن نسجل هذه السلبية، الظروف العصيبة المحيطة بالمنظمة.

---

[75] – رواه الترمذي وأبو داود وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى، ورواه الدارقطني في سننه.

[76] - نقلا عن تصريح له للتلفزة التونسية أذاعته في نشرة الساعة الثامنة من مساء يوم 1982/10/09

صحيح أن الواقع العربي لم يفرز منظمات جماهرية ثورية قوية بالعدد الكافي على الأقل لتشجيع الثورة الفلسطينية على التحالف معها، **ولكن لو أن المنظمة تخلصت من العقلية التجارية وتوخي الربح العاجل لاعتبرت نفسها طليعة وعامل تثوير للجماهير والمنظمات. ولو حصل هذا التحالف بين حركة الجماهير العربية والإسلامية وبين حركة التحرر الفلسطيني، لشهدت المنطقة تحولات نوعية، ولظفرت المنظمة بما هي أحوج إليه من كل شيء، وكان غيابه سببا مباشرا لكل نكباتها، لظفرت بأكثر من قاعدة ثورية في الوطن العربي والاسلامي لانطلاق ثورتها وحمايتها.**

وعلى سبيل المثال، لو اتجهت العلاقات بين الثورة الإسلامية في إيران والثورة الفلسطينية والإخوان المسلمين وخاصة في سوريا والأردن إلى علاقات تحالف استراتيجي، لأمكن الإطاحة بأكثر من نظام من الأنظمة المتعفنة كنظام الأسد وصدام أو حسين وفهد، ولغدت سوريا مثلا قلعة حصينة للعمل الفدائي بدل أن يتحالف الفلسطينيون والإيرانيون مع حافظ الأسد وتحميا ظهره ليتفرغ لتصفية الثورة الإسلامية في سوريا والفلسطينيين في لبنان. وتتحالف الثورة الإسلامية في سوريا مع حسين وصدام. فتمزقت بذلك القوى الثورية في المنطقة لفائدة معسكر الفاشية والعمالة؛ ولكن مثل هذه الاستراتيجية تحتاج إلى تثوير الفكر الإسلامي حتى يتخلص من رواسب الانحطاط كالطائفية، وتحجيم المسألة الاجتماعية من أجل الطاقات الثورية الهائلة للإسلام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتخلص المنظمة من الفكر السياسي الإصلاحي الذي تصاعد نموه وسيطرته على المنظمة خلال السنوات الأخيرة خاصة أنه من أقدم أخطاء القوى الثورية في هذه المرحلة اتجاهها إلى التحالف مع خصومها الاستراتيجيين الذين تتناقض مصالحهم جذريا مع أي تغيير ثوري في المنطقة، ولا يترددون في القيام بأي عمل من أجل استبعاد ذلك التغيير ولو بالقيام بتعديلات بسيطة..

ب - ميل المنظمة المتنامي إلى الاعتماد على الحل السياسي على حساب العمل العسكري:

ويتصل بهذه الظاهرة، ظاهرة التحالف مع الأنظمة الطاغوتية حليفة الاستعمار، بل عميلته، بدل التحالف مع الجماهير وطلائعها الثورية، ظاهرة أخرى يلاحظها المتتبع لمسار المنظمة، وهو ميلها المتنامي إلى الاعتماد على الحل السياسي على حساب العمل العسكري في اتجاه نحو التأقلم مع الواقع العربي. فهل يعني ذلك أن المنظمة تتجه بخطى حثيثة إلى أن تغدو جزءا من الواقع العربي لا عامل تقويض له؟

وفي ذلك درس بالغ ينبغي أن تنتبه إليه كل حركة ثورية، إنه خطر الاستدراج والاحتواء السياسي من طرف الخصوم. وكثيرا ما تسقط الحركات الثورية نتيجة للضغوط المسلطة عليها من طرف القوى الإمبريالية وما تمارسه معها من ترغيب وترهيب، فتخلط بين الاستراتيجية والتكتيك فتسقط في مخططات الخصوم، وتتعرض للإجهاض.

إن المواقف الظرفية رغم ضرورتها لكل حركة، ينبغي الحذر من أن تتحول إلى موقف استراتيجي.

ج – عدم انسجام العلاقات مع الشعارات في بعض الأحيان

إن جماهيرية حركة ما، لا تستمد من شعاراتها ولا حتى من أيديولوجيتها الثورية - رغم أهمية ذلك - ولا من مواقفها الرسمية، وإنما تتحدد أيضا بنمط العلاقات التي ينشئها العاملون في صفوفها مع وسطهم الذي يتحركون فيه. فبقدر ما تكون تلك العلاقات ملتزمة منسجمة مع المُثل والشعارات المرفوعة، مطبوعة بطابع أخلاقي أصيل، بقدر ما ترتفع مصداقيتها لدى الجماهير، فتكتسب ثقتهم وتستقطبهم للنضال في صفها.

ولقد فشل الفلسطينيون إلى حد ما، في كسب الرأي العام في مواطن هجرتهم رغم الروابط الثقافية والدينية، وذلك راجع إلى نقص فادح في أحيان كثيرة - في الرصيد الأخلاقي للسلوك الفلسطيني اليومي سواء إزاء المال أو العِرض وغير ذلك، مما سهل عمل الأنظمة في تصفيتهم دون أن تحرك الجماهير ساكنا. وفي ذلك درس بالغ لكل حركة ثورية حريصة على

تعميق جماهريتها فلا مناص لها إذًا من تجذير التربية الأخلاقية في أفرادها إلى جانب إعدادهم في الميادين الأخرى السياسية والعسكرية والفكرية، واعتبار المقياس الأخلاقي مقياسا أساسيا إلى جانب مقاييس أخرى للانتماء إليها، ولتقييم الأفراد ورفعهم أو خفضهم ([77]).

د -إهمالها للبعد الإسلامي

فبقدر ما اهتمت المنظمة بكسب الرأي العام العالمي في المعسكر الاشتراكي والرأسمالي، بقدر ما كان عملها محدودا على المستوى الإسلامي. وقد يكون من مبررات ذلك انبتات الأنظمة هنا عن الجماهير وعمالتها - غالبا -، وندرة المنظمات الثورية الإسلامية التي يمكن التعامل والتفاعل معها. وقد يكون هو الطابع اليساري العام المسيطر على المنظمة؛ ومعلوم أن اليسار لا يزال مشبعا بالعقد ضد الدين وأهله. وكان على هذه الصورة التي يحملها اليسار عن الوطن الإسلامي والفكر الإسلامي، والحركة الإسلامية، أن تتغير بعد أن شهدت الساحة الإسلامية خلال السنوات الأخيرة تحركات ثورية مسلحة وجماهيرية شعبية ضد قوى الاستعمار والاستبداد في إيران وأفغانستان وسوريا ومصر وتونس مما يحتّم أن يكون البعد الإسلامي إلى جانب البعد العربي والعالمي رصيدا أساسيا للثورة الفلسطينية.

ومن جهة أخرى، على الحركة الإسلامية أن تتخلص من موقفها السلبي أو البارد من القضية الفلسطينية، رغم أن الحركة الإسلامية كانت هي الحركة الشعبية الوحيدة في الوطن العربي التي لم تكتف سنة 1947 بمناصرة القضية الفلسطينية بالبيانات، وإنما بادرت إلى إرسال مجموعة من الكتائب الفدائية عرّفت اليهود معنى الإيمان الإسلامي، وكاد المشروع الصهيوني أن يجهض لولا خيانات الحكام.

إن فلسطين محور الصراع الدولي والحضاري، فينبغي أن تكون قضيتنا المركزية وخطنا الأول في مواجهة الإمبريالية وعملائها، وتكتيل كل القوى الثورية، والبوتقة التي تحترق فيها بقايا ومخلفات انحطاطنا وعجزنا وكسلنا وتثاؤبنا الحضاري وخمولنا الحركي؛ ويعاد فيها

---

[77] - فلننتبه إلى أن ملاحظات الكاتب يجب أن تؤطَّر ضمن الظرف الزماني الذي سيقت فيه وهو بداية التسعينات من القرن الماضي، حيث لم يكن الوعي الديني غالبا على الفلسطينيين ولا على غيرهم من الشعوب العربية.

سبك مجاهدينا ورصّ صفوفنا للانطلاق في البناء الحضاري الإسلامي الجديد لنجد أنفسنا في الصف الأول للثورة، وإنها لثورة حتى النصر: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:40].

أكتوبر 1982

شهادات لمفكرين وعلماء وسياسيين
حول مواقف وآراء الشيخ راشد الغنوشي المتعلقة بالقضية الفلسطينية

شهادة المفكر منير شفيق

مفكر ومناضل سياسي فلسطيني معاصر

منذ أن تعرفت إلى العالم المجاهد الشيخ راشد الغنوشي لم تنحرف بوصلته عن فلسطين وضرورة تحريرها. ومناصرة شعبها ومقاومتها. وله في هذا المقام الكثير من الخطب والكتابات والمشاركات في المؤتمرات القومية والإسلامية التي عقدت لدرء المؤامرات عن قضية فلسطين، ولدعم شعبها ومقاومتها. وكان تأثيره في الحشد الفكري والسياسي والفقهي بارزا وفعالا.

صحيح أنّ قضية تونس شغلته ولا سيما بعد الثورة التي أطاحت بزين العابدين بن علي. ولكن ما التقيته مرة بعدها، إلى ما قبل شهر من اعتقاله الظالم، إلا وكانت فلسطين همّا مقيما في قلبه، وسؤالا ملحا للاطمئنان عن مقاومتها، والحث على دعمها.

فرج الله عنه وعن إخوانه. وأعاد تونس إلى التوافق الداخلي، والصوت المدوي من أجل تحرير فلسطين كل فلسطين.

شهادة الدكتور ياسين أقطاي[78]

سجن الغنوشي.. مساهمة في تهميش القضية الفلسطينية

إننا ندور في حلقة مفرغة أمام عجز الأمة الإسلامية، التي يبلغ تعدادها ملياري نسمة، عن اتخاذ موقف حازم تجاه الاعتداءات التي يتعرض لها الفلسطينيون في القدس وغزة. قلوبنا تنزف ونعض على شفاهنا، ونغمض أعيننا، ونواجه مرارة واقعنا المرير. وما يزيد الأمر سوءاً قيام بعض المراهقين المتحذلقين على وسائل التواصل الاجتماعي على الفور بربط كل ما يحدث بوجود أو غياب العالم الإسلامي، فكيف لهؤلاء أن يدركوا كيف وصلنا إلى هذا الوضع؟ وإن أدركوا، فهل سيبالون ويشعرون بثقل المعاناة؟

لقد أثمرت البذور التي زُرعت في أراضي المسلمين المحتلة منذ قرن، ونشأت أجيال لا تعرف أصولها ودينها وهمومها وجذورها، والآن يتحدثون عن أكثر ما يؤلمنا ويوجعنا؟ فما هي البذور التي زرعت في الأراضي الإسلامية على مدار هذا القرن؟

إن جرائم الإبادة الجماعية التي ترتكب في غزة تدفع العالم الإسلامي الذي يعاني بالفعل من الضعف والعجز، إلى الهاوية. وكأنه ميت يُبعث من قبره ليُقتل مرة أخرى، وكأن القتل الأول لم يكن كافياً لهم. يحاولون إبلاغ الميت مراراً وتكراراً أنه ميت، وجعله يشعر بذلك. إن الصهيونية ليست سوى أيديولوجية منحرفة، والإمبريالية العنصرية التي تقف خلفها أكثر انحرافاً. لقد أظهر لنا يوم السابع من أكتوبر بوضوح تام أن هذه الفلسفة المنحرفة هي جوهر الحضارة الحديثة التي ثقبت آذاننا. على مدى قرنين. بحقوق الإنسان والتقدم والديمقراطية والعقلانية والفلسفة.

إن انتظار أي تحرك من قِبَل القادة الذين يُفترض أن يرفعوا صوتهم نيابةً عن العالم الإسلامي ضد الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين هو ضرب من العبث. في الواقع، لم نعد

[78] مفكر وكاتب وسياسي تركي

نتوقع منهم اتخاذ أي إجراء حقيقي ضد هذه المجازر. ما يمكننا أن نأمله ببساطة هو أن يتوقفوا عن تقديم الدعم، سواء المباشر أو غير المباشر، لإسرائيل. وللأسف فإن العديد من الدول العربية تقدم أكبر دعم لإسرائيل عن طريق قمع أصوات المفكرين والعلماء وقادة الرأي الذين يقدمون الدعم الأقوى والأشد تأثيرا للقضية الفلسطينية، إما عبر إسكاتهم أو سجنهم.

في الواقع، يجب أن نضع المشكلة التي نواجهها في هذا السياق بالضبط. **إن إبقاء راشد الغنوشي**، الذي يُعد من أبرز الأسماء في العالم الإسلامي على المستوى الفكري، محتجزاً في السجن وهو في عمر 82 عاماً ودون أي سبب مبرر، هو في حد ذاته أكبر دعم يُقدم للصهيونية. وبكل صراحة، يمكن اعتبار ذلك مشاركة في جميع الجرائم التي ارتكبتها. فقد كان الغنوشي طوال حياته قضية فلسطين جزءاً لا يتجزأ من قضية وجود الأمة الإسلامية برمتها، ويرى أن تحرير فلسطين هو خطوة حتمية لا غنى عنها لتحرر العالم الإسلامي بأسره.

وقد ظلت القضية الفلسطينية تمثل أهمية حيوية بالنسبة له، قبل وبعد عودته إلى بلاده عقب أحداث الربيع العربي. ومنذ الألفية الثانية، كان يشدد باستمرار على أهمية الوحدة في ظل الخلافات والصراعات بين حماس وفتح، مؤكدًا بحكمة أن القضية الفلسطينية، التي يتحمل أصحابها على الأرض تبعاتها، لا تتحمل هذا الانقسام. ولكن في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى الوحدة، كان يؤكد أيضًا أن القضية الفلسطينية لا يمكن أن تُدار على أساس علماني بحت. بل كان يحذر من أن المجموعات التي تبنت حوارًا مع الصهيونية وجعلت من هذا الحوار سياسة أساسية، وتقريباً ذات أولوية، وخاصة بعد عملية أوسلو، ستصل في النهاية حتماً إلى الأهداف التي رسمها الصهيونيون من خلال تقديم تنازلات متتالية.

والحقيقة أن القضية الفلسطينية اليوم ليست مجرد قضية تخص الفلسطينيين وحدهم، بل هي قضية إسلامية تمنح الحياة لكل من يتبناها، وتتجاوز كونها قضية خاصة بشعب يسعى لتحقيق راحة معينة. ففلسطين تعطي أكثر مما تأخذ، وهي التي تنقذنا من الهوة الثقافية والعزلة التي نعيشها.

لقد كانت تشخيصات وتدابير راشد الغنوشي واضحة للغاية، خاصة بعد سنوات طويلة قضاها في المنفى بالغرب. فقد لمس عن كثب التحيز المفرط للغرب تجاه إسرائيل، وكيف أن

هذا التحيز يشكل عائقاً حقيقياً أمام فهم متبادل وحوار بناء بين الإسلام والغرب، ولم يتوانَ عن التحذير من ذلك باستمرار.

وفي يوم الإثنين الماضي، عُقد مؤتمر لدعم الغنوشي بتنظيم من "الهيئة العالمية لأنصار النبي" والتي أُسست بمبادرة من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين لمواجهة الإساءات والهجمات على رسولنا الكريم، وتتخذ من إسطنبول مقراً لها. إن العلماء ورثة الأنبياء، وكان عقد هذا الاجتماع لدعم شخصية تُجسد صفات العالم والمفكر الحقيقي مثل الغنوشي اختيارًا موفقًا للغاية، يحمل دلالات عميقة. فقتل العلماء أو سجنهم بمثابة قتل الأنبياء أو سجنهم، تماماً كما فعل بنو إسرائيل على مر التاريخ. ومن المؤسف أن ورثة الأنبياء من العلماء يُقتلون ويُسجنون اليوم على يد زعماء الدول الإسلامية أنفسهم.

وكما ذكرت في مناسبة سابقة، فإن الغنوشي هو أحد الأبواب الأولى التي يجب أن يلجأ إليها من يبحثون عن الفكر والعمق والمستوى الفكري في العالم الإسلامي. فهو ليس مجرد مثقف يعيش في برج عاجي بعيدا عن الواقع، بل هو مثقف ميداني خاض التحديات الميدانية، وضع يده في عمق المشكلات، وتفاعل مع الناس، وتقاسم معهم معاناتهم ودفع أثمانا باهظة، وواجه الحقائق بشجاعة دون أن يتخلى عن مبادئه. ولهذا السبب لم يكن وحيدًا في مسيرته؛ كان دائمًا لديه رفاق، وسار مع رفاق دربه على الطريق بكل ما يقتضيه الأمر من تضحيات، يتشاركون المصاعب والمشقات في إطار من التضامن والتعاون.

وبعد الثورة التونسية كان بإمكانه بسهولة أن يصبح رئيسًا للوزراء أو حتى رئيسًا للجمهورية في الانتخابات الأولى، ولكنه فضّل الابتعاد عن المناصب، مؤكدًا أنه لا يسعى إلى السلطة بل إلى بناء مستقبل أفضل لتونس. وقد قُدِّم هذا الموقف المتواضع وهذه التضحية مثالاً إيجابياً، على عكس ما حدث في مصر، حيث اختار الإخوان المسلمون وحزب الحرية والعدالة تقديم مرشح للرئاسة. وحاول البعض إثبات أن الأوضاع في مصر لم تكن لتصل إلى حد الانقلاب لولا ترشح مرسي، مستشهدين بالغنوشي. وقد استُغلت هذه التضحية والتواضع والنبل التي يتمتع بها الغنوشي كنموذج يحتذى به، بل أحيانًا وسيلة لانتقاد جماعة الإخوان المسلمين في مصر.

ولكننا وصلنا الآن إلى مرحلة لم تعد فيها حتى تضحيات الغنوشي تجدي نفعًا في مواجهة الاستبداد المتصاعد. ربما حان الوقت لمناقشة أمور أخرى في هذه المرحلة. ولكن مهما كان الموضوع الذي سيتم طرحه أو مناقشته، فمن الضروري أن نولي حكمة الغنوشي اهتمامًا خاصًا.

فقد كان الغنوشي، منذ زمن طويل قبل الثورة التونسية، حتى في أحلك الأوقات، لا يستسلم للتشاؤم، بل يعلن أن سير الأحداث يقترب من الحرية. ومن هذا المنطلق، كان ينظر إلى التاريخ من منظور أوسع وأطول مما ينظر إليه معظم الناس.

ومثلما فعل في الماضي، فإنه لا يزال محافظًا على تفاؤله ويبشر بالأمل رغم كل الصعاب التي يعيشها. وكان يشير إلى الأبعاد التاريخية لانتصارات حركة حماس في عامي 2007 و 2011 بقوله: "إن انتصار حماس الباهر لم يكن مجرد شهاب ساطع في ليلة مظلمة، بل هو دليل على تقدم الحركة الإسلامية في مسارها التاريخي الصاعد في المنطقة والعالم.

الغنوشي ليس مجرد شخصية تونسية، بل هو واحد من أهم المفكرين في العالم الإسلامي بأكمله، ولكن كونه تونسيا يضفي قيمة خاصة على تونس ويمثل فرصة كبيرة لها. إن سجنه يعد وصمة عار على تونس، كما هو الحال بالنسبة لسجن العلماء والمفكرين الإسلاميين الآخرين في بلدانهم، بل هو وصمة عار كبيرة على العالم الإسلامي كله.

د. صلاح عبد المقصود

وزير الإعلام المصري الأسبق

كان الشيخ راشد الغنوشي ولايزال مع فلسطين في كل أحواله، شاباً وشيخاً في يسره أو عسره، في عافيته وحريته. في سجون الظالمين أو بلاد المهجر، في السلطة أو المعارضة، فلسطين حاضرة في عقله، وقلبه ينافح عنها بكل ما يملك، ويدعو إلى مساندة شعبها ودعم مقاومته، ويبث الأمل في النفوس أنّ التحرير قادم.

عاش الغنوشي – حفظه الله – مشغولاً بتوعية الشباب بقضية فلسطين وما يواجهها من أخطار، ومحرضاً الأمة رجالها ونساءها.. شبابها وشيوخها.. على نصرة فلسطين والعمل على تحريرها من براثن الصهيونية.

لم يتخلف عن أية دعوة لنصرة فلسطين، ولم يتوان عن تأييد مقاومة المحتلين.

ووقف مؤيداً لكل من يحمل راية فلسطين منذ شبابه حين أيد جمال عبد الناصر، وبعده ياسر عرفات ورفاقه حين أسّسوا منظمة التحرير الفلسطينية وناضلوا لأجل فلسطين، وأخيراَ حين كان ولا يزال مناصراً بقوة لفصائل المقاومة وفي القلب منها حركة المقاومة الإسلامية(حماس).

في 26 مارس 1979 خرجت مصر الرسمية من محور المقاومة للاحتلال والدفاع عن فلسطين بموجب القيود التي فرضتها عليها معاهدة كامب ديفيد والتي وقعها الرئيس أنور السادات مع رئيس حكومة الكيان الصهيوني مناحيم بيجين برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر.

بعد تلك المعاهدة المشؤومة بشهور خرج الشيخ راشد الغنوشي في صيف نفس العام بمقولته الشهيرة التي وردت بمقاله الذي نشره بصحيفة(المجتمع) لسان حال حركته

الإسلامية الناشئة" **إنّ فلسطين آية من الكتاب.. من حفظها فقد حفظ الكتاب، ومن ضيعها فليس له حظ من الكتاب**".

وقد لخصت هذه المقولة الذهبية موقع قضية فلسطين في فكر وبرنامج الشيخ راشد الغنوشي وجماعته. فالقضية ليست قضية وطنية أو قومية فحسب، بل قضية دين وعقيدة وإيمان قبل كل شيء، وهي ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، بل قضية كل العرب والمسلمين وأحرار العالم الذين لهم في فلسطين ومقدساتها ما لشعبها الفلسطيني من حق، وعليهم ما على الفلسطينيين من واجب العمل بكل الوسائل لتحريرها من دنس الصهاينة المحتلين.

لم يتخلف الشيخ راشد الغنوشي عن تلبية أية دعوة لنصرة فلسطين، ولم يتوان عن تأييد مقاومة المحتلين. فلقد زرع الشيخ راشد هو والجيل الأول من المناضلين التونسيين باختلاف مشاربهم حب فلسطين في أبناء شعبه، وكان دائماً ما يقول:

"إنّ التونسيين يختلفون في كل شيء ولا يُجمعون إلاّ على حب فلسطين والانتصار لها"، وإنّ التونسيين يقفون إجلالاً لأمرين اثنين: النشيد الوطني وفلسطين.

استبشر الشيخ الغنوشي بميلاد حركة حماس خيراً، واعتبرها حاملة لواء الجهاد والمقاومة، ورأى أنّ حماس أنقذت المشروع الوطني الفلسطيني من الضياع بعد دخول منظمة التحرير في مسار التفاوض مع المحتل، كما أنّ حماس برأي الشيخ راشد – الذي أؤيده فيه بقوة – رفعت من أسهم الحركة الإسلامية في كل البلدان. قائلاً إنّ حماس مثلما أنقذت المشروع الوطني الفلسطيني من الضياع الذي قادته إليه منظمة التحرير الفلسطينية شرعت كذلك للحركة الإسلامية، وقال: "**إنّ حماس أعطت شرعية وقوة كبيرة للحركة الإسلامية، صحيح أنها بنْتٌ للحركة الإسلامية، ولكنها بنت مباركة، وهي إضافة نوعية لها، وجعلت من الحركة الإسلامية تؤوي أهم قضية وتحمل أشرف وأنبل راية، راية تحرير المسجد الأقصى وفلسطين، وهذا شرف للحركة الإسلامية كلها**". ذلك لأنه منذ ولدت القضية الفلسطينية كل من حمل رايتها قاد الأمة، فهكذا هو حال جما عبد الناصر الذي حملها فقاد الأمة، ولما سقطت من يده حملها عرفات، ولما سقطت من يده انتقلت الراية إلى

الأيادي المتوضئة فأصبحت الحركة الإسلامية من خلال حماس تقود الشارع الإسلامي، وهي بذلك أعطت الشرعية للحركة الإسلامية.

كما استبشر الشيخ راشد الغنوشي برياح التغيير التي جاءت مع ثورات الربيع العربي، واعتبرها لصالح فلسطين وقضيتها العادلة، وقال إنّ كل تقدم تحققه الشعوب في مجال الحريات ينعكس إيجاباً على قضية فلسطين ويقرب موعد تحريرها.

وتبنى – حفظه الله – مفهوم المقاومة الشاملة للاحتلال الصهيوني، وطالب بتفعيل كل أشكال المقاومة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والفكرية والثقافية، والإعلامية، والاجتماعية، والإنسانية.

والشيخ راشد الغنوشي – حفظه الله – له جهد كبير في تعبئة الطاقات وتحريض الشعوب الإسلامية للعمل لصالح فلسطين، وله العديد من المقالات تأييداً للجهاد والمقاومة وكل فصائلها في فلسطين، خصوصاً حركة المقاومة الإسلامية حماس التي أثنى على مقاومتها وانتصاراتها وتضحيات مجاهديها، وحاضنتهم الشعبية في غزة والضفة والقدس.

وأثناء معركة سيف القدس عام 2021 كان الشيخ راشد الغنوشي رئيساً لمجلس نواب الشعب، وخلال الجلسة العامة التي عقدها المجلس في 18 مايو لمناقشة الاعتداءات الصهيونية، أصدر بياناً قوياً يتضمن العديد من الخطوات العملية لدعم نضال الشعب الفلسطيني، حيث أدان البيان الاعتداءات الوحشية الإرهابية لجيش الاحتلال الصهيوني على أهلنا في القدس وغزة وكل ربوع فلسطين، وسياسة الاستيطان والحصار والتمييز العنصري التي يمارسها هذا الكيان الصهيوني ضد أبناء شعبنا الفلسطيني. وطالب بتقديم الدعم الكامل للمقاومة الفلسطينية ولصمود كل الفصائل التي توحدت حول خيار المقاومة والوحدة الوطنية.

كما دعم مبادرة تونس المقدمة لمجلس الأمن الدولي حول القدس، ودعا إلى تشكيل لجنة "القدس وفلسطين" في مجلس نواب الشعب، ومساندة كل التحركات الشعبية والحملات التضامنية مع الشعب الفلسطيني بجميع الوسائل المتاحة، كما دعا جامعة الدول العربية الى دعم المقاومة الفلسطينية بكل الوسائل التي تعزز صمودها وقدراتها على التصدي لهذا

العدوان الغاشم، وتفعيل اللوائح والقرارات المتعلقة بمقاطعة الكيان الصهيوني في كل المجالات.

كما طالب البيان بتسريع عرض المبادرة التشريعية المتعلقة بتجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني على الجلسة العامة لمجلس نواب الشعب في أقرب الآجال، ودعوة كل أحرار العالم في مختلف المجالس البرلمانية والمنظمات الحقوقية والمدنية الإقليمية والدولية إلى استنكار الجرائم الصهيونية ومساندة حق الشعب الفلسطيني ونضاله العادل من أجل قضيته طبقا لما توجبه مختلف المواثيق والمعاهدات الدولية، والمطالبة برفع الحصار عن غزة، ودعوة الهيئات الحقوقية الإقليمية والدولية المختصة والأطراف المعنية لاتخاذ كل الخطوات القانونية اللازمة لإحالة القيادات الصهيونية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالجرائم الإرهابية المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني على محكمة الجنايات الدولية ومحكمة العدل الدولية.

والشيخ راشد الغنوشي مثل الرئيس الشهيد محمد مرسي لم ينس فلسطين في أية مرحلة من مراحل حياته، في اليسر أو العسر، والمنشط أو المكره.. ففي يوليو 2014 شاهدنا الرئيس مرسي وهو داخل قفص المحاكمة الظالمة يهتف مناصرا لغزة أثناء تعرضها للعدوان الصهيوني، ويصرخ بأعلى صوته :**لبيك يا غزة.. لبيك يا غزة** ..هكذا كان الشهيد في وقت العسر، مثلما كان في وقت اليسر.

حين وجه تهديده للصهاينة أثناء اعتدائهم على غزة في نوفمبر عام 2012 قائلا :**لن نترك غزة وحدها، ووجه تحذيره للصهاينة إذا لم يوقفوا عدوانهم فإن شعب مصروجيشها لن يقف مكتوف الأيدي، بل حذرهم من غضبة الأمة الإسلامية التي تتوق قلوب أبنائها للأقصى والقدس، وفتح الحدود مع غزة على مدار الساعة**، وأرسل إليها رئيس الحكومة والوزراء، ورئيس مجلس الشعب والنواب، وحشد الجهود العربية والإسلامية والدولية لوقف العدوان، وما هي إلا أيام وخضعت إسرائيل لشروط حماس، وتوقف العدوان، وبعده تفرغت حماس لبناء قدراتها العسكرية بدعم الرئيس مرسي والمخلصين من أبناء مصر والعالم الإسلامي.

وهكذا شيخنا الكبير راشد الغنوشي الذي لم يتخل عن نصرة فلسطين في كل حالاته، فرغم وجوده في سجن الديكتاتور قيس سعيد عند انطلاق معركة الطوفان وجه رسالة من محبسه قائلاً: "**إن طوفان الأقصى هدية أهل غزة إلى الأمة فهو قوة تجديد وتبشير بعالم جديد، وأعتبر الطوفان قوة تجديد ودفع واستنفار وتعبئة وإيقاظ وصحوة وشعار وبطولة**"، مضيفًا: إن طوفان الأقصى مثل طوفان نوح، يغمر العالم كله ويعيد بناءه مجددا، ليكون إنسانيًا، متعافيا من كل ما هو متعفن..

وقال إن الطوفان تجديد للإسلام وتجديد للبشرية وتبشير بعالم جديد: عالم الحرية، والعدل، والأخوة، والمساواة.. وأكد على أن فلسطين قضية الأمة المركزية إلى جانب المسجد الحرام، فهما مركز السيادة الإسلامية ومقياس وعنوان عزة الأمة وسيادتها، فهذا الشعاع، المسجد الحرام والمسجد الأقصى، هو قلب الأمة النابض، ووجود أي كيان دخيل في القلب هو إنذار بالخطر، بما يدعو الى الاستنفار..

وفي رسالة الشيخ راشد الغنوشي الخاصة بالطوفان شدد -حفظه الله- على أن تحرير فلسطين ليس ثقلا على الأمة، بل رافعة لها، وهذه القضية تعطي حاملها أكثر مما تأخذ منه، مبرزا أن كل الزعامات في أمتنا ارتفعت برفع هذه الراية، من الفاتحين الأُول، أمثال خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب، وصولا إلى صلاح الدين الأيوبي. الرايات التي ارتفعت هي التي صدقت في رفع عنوان تحرير فلسطين. وقد امتحنت عديد القيادات والحركات على ضوء هذه القضية المركزية.. فقضية تحرير فلسطين ترتقي بالشباب، تُسيّسه وتخرجه من الاهتمامات الصغيرة إلى قضايا الأمة والإنسانية الأرحب.

إن واجب الوقت على الحركات الإسلامية والوطنية، والقوى الحرة في العالم أن ترفع راية الدفاع عن أهلنا في غزة اليوم، ومواجهة حرب الإبادة التي يشنها عليهم العدو الصهيوني بدعم أمريكي وغربي، وبتواطؤ من أنظمة عربية وغربية..

إن تقاعسنا عن نصرة أهلنا في غزة سيكون بمثابة وصمة عار تلاحقنا وتلاحق هذا الجيل الذي نكث عن نصرة إخوانه وترك أهل غزة يواجهون حرب الإبادة وحدهم.

فرّج الله عن شيخنا راشد الغنوشي وعن كل الأحرار المناصرين لفلسطين في سجون تونس ومصروكل الساحات.

وحقق الله النصر لغزة وعوض أهلها الصابرين المجاهدين خيرا.

الفهرس

تقديم 1

الفصل الأول الإطار التاريخي للمشكل الفلسطيني 17

الفصل الثاني الشَّعُورُ الوَطني الفلسطيني ومُنظمة التحرير 23

الفصل الثالث قضية فلسطين والعَمَل العَرَبيّ المُشترك 28

الفصل الرابع مؤتمر فاس 33

الفصل الخامس الأمريكان والقضية الفلسطينية 51

الفصل السادس ما مصير القضية الفلسطينية؟ 57

الفصل السابع دروس من الثورة الفلسطينية 69

شهادات لمفكرين وعلماء وسياسيين حول مواقف وآراء الشيخ راشد الغنوشي المتعلقة بالقضية الفلسطينية 80

الفهرس 92

فلسطين آية من الكتاب وسورة من القرآن،

من حملها حمل الكتاب، ومن تخلى عنها تخلى عن الكتاب.

إن فلسطين قضية الأمة المركزية إلى جانب المسجد الحرام. هما مركز السيادة الإسلامية ومقياس وعنوان عزة الأمة وسيادتها. هذا الشعاع, المسجد الحرام والمسجد الأقصى, هو قلب الأمة. ووجود أي كيان دخيل في القلب هو إنذار بالخطر ما يدعو الى الاستنفار لإخراجه من الجسم لان بقاءه يهدد الجسم كله.

إن تحرير فلسطين ليس ثقلا على الأمة بل رافعة لها. هذه القضية تعطي حاملها أكثر من نفسها. فكل الزعامات في أمتنا ارتفعت برفع هذه الراية, من الفاتحين الأوائل (خالد بن الوليد, أبو عبيدة بن الجراح, عمر بن الخطاب..) وعبر التاريخ (صلاح الدين الأيوبي..). الرايات التي ارتفعت هي الرايات التي صدقت في رفع راية تحرير فلسطين. ثم امتحنت عديد القيادات والحركات (جمال عبد الناصر, ياسر عرفات, حماس, فتح..).

لذلك يجب أن يظل تحرير فلسطين محور اللقاء والافتراق.

فلسطين آية من الكتاب وسورة من القرآن, من حملها حمل الكتاب, ومن تخلى عنها تخلى عن الكتاب.

الطوفان اليوم هدية أهل غزة إلى الأمة, وقوة تجديد ودفع واستنفار وتعبئة وإيقاظ وصحوة وشعار بطولة. اليوم الشباب في المنطقة لم يرفع صورة بعد صور الرياضيين إلا صور أبطال فلسطين.... قضية تحرير فلسطين تُسَيِّس الشباب وتخرجه من القضايا الصغيرة إلى قضايا الأمة والإنسانية.

طوفان الأقصى مثل طوفان نوح يغمر العالم كله ويعيد بناءه مجدَّدا شبابا إنسانيا عافيا من كل ما هو متعفن....هذا تجديد للإسلام وتجديد للبشرية وتبشير بعالم جديد: عالم الحرية والعدل والأخوة والمساواة

الشيخ راشد الغنوشي

رسالة من سجن المرناقية بتونس حيث يسجن الآن ظلما لرفضه للانقلاب على مسار الثورة.

22/11/2023

9 781300 071969

TASQ